اسباب السموات فاطلع فصل ومن اقسامه الترجي نقل القرافي في الفروق
الاجماع على انه انشاء وفرق بينه وبين التمني بانه في الممكن والتمني فيه
وفي المستحيل وبان الترجي في القريب والتمني في البعيد وبان الترجي في
المتوقع والتمني في غيره وبان التمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره
وسمعت شيخنا العلامة الكافيجي يقول الفرق بين التمني وبين العرض
هو الفرق بينه وبين الترجي وحرف الترجي لعل وعسى وقد ترد مجازا
لتوقع محذور ويسمى الاشفاق نحو لعل الساعة قريب فصل ومن
اقسامه النداء وهو طلب اقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب ادعو و
يصحب في الاكثر الامر والنهي والغالب تقدمه نحو يا ايها الناس اعبدوا ربكم
يا عباد فاتقون يا ايها المزمل قم الليل يا قوم استغفروا ربكم يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا وقد يتاخر نحو وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون وقد يصحبه الجملة
الخبرية فيعقبها جملة الامر نحو يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له يا قوم هذه
ناقة الله لكم اية فذروها وقد لا يعقبها نحو يا عباد لا خوف عليكم يا ايها
الناس انتم الفقراء يا ابت هذا تاويل روياي وقد يصحبه الاستفهامية
نحو يا ابت لم تعبد ما لا يسمع يا ايها النبي لم تحرم يا قوم ما لي ادعوكم وقد
ترد صورة النداء لغيره مجازا كالاغراء والتحذير وقد اجتمعا في قوله
ناقة الله وسقياها والاختصاص كقوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
والتنبيه كقوله الا يا اسجدوا والتعجب كقوله يا حسرة على العباد والتحسر كقوله
يا ليتني كنت ترابا قاعدة اصل النداء بيا ان يكون للبعيد حقيقة او حكما

وقد ينادى

وقد ينادي بها القريب لنكت منها اظهار الحرص في وقوعه على اقبال المدعو
نحو يا موسى اقبل ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به نحو يا ايها الناس اعبدوا
ربكم ومنها قصد تعظيم شان المدعو نحو يا رب وقد قال تعالى اني قريب و
منها قصد انحطاطه كقول فرعون واني لاظنك يا موسى مسحورا فايدة قال
الزمخشري وغيره كثر في القران النداء بيا ايها دون غيره لان فيه اوجها من
التاكيد واسبابا من المبالغة منها ما في يا من التاكيد والتنبيه وما في ها
من التنبيه وما في التدرج من الابهام في اي الى التوضيح والمقام يناسب
المبالغة والتاكيد لان كل ما نادى له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته
وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص اخبار الامم الماضية وغير ذلك
مما انطق الله به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم ان
يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم غافلون فاقتضى الحال
ان ينادوا بالآكد الابلغ فصل ومن اقسامه القسم نقل القرافي الاجماع
على انه انشاء وفايدته تاكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع وسياتي
بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين فصل ومن اقسامه الشرط

النوع الثامن والخمسون في بدائع القران افرده

بالتصنيف ابن ابي الاصبع فاورد فيه نحو مائة نوع وهي المجاز والاستعارة
والتشبيه والكناية والارداف والتمثيل والايجاز والاتساع والاشارة
والمساواة والبسط والايغال والتتميم والتكميل والاحتراس والاستقصاء
والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والايضاح ونفي

الشيء بما يجاوره والمذهب الكلامي والقول بالموجب والمناقضة والانتقال
والاسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهيم ورد العجز على الصدر
وتشابه الاطراف ولزوم ما لا يلزم والتخيير والتسجيع والتشريع
والايهام وهو التورية والاستخدام والالتفات والاطراد والاستعا
والادماج والافتنان والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ و
ائتلاف اللفظ مع المعنى والاستدراك والاستثناء وتاكيد المدح
بما يشبه الذم والتفويف والتغاير والتقسيم والتدبيج والتنكيت
والتضمين والجناس وجمع المؤتلف والمختلف وحسن النسق
وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم والمبالغة
والمطابقة والمقابلة والموازنة والمراجعة والنزاهة والابداع
والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختام وحسن التخلص والاستطراد
فاما المجاز وما بعده الى الايضاح فقد تقدم بعضها في انواع مفردة و بعضها
في نوع الايجاز والاطناب مع انواع أخر كالتعريض والاحتباك والاكتفاء
والطرد والعكس واما نفي الشيء بايجابه فتقدم في النوع الذي
قبل هذا واما المذهب الكلامي والخمسة بعده فسيأتي في نوع الجدل
مع نوع اخر مزيدة واما التمكين والثمانية بعده فسيأتي في نوع آخر
الفواصل واما حسن التخلص والاستطراد فسيأتيان في نوع المناسبات
واما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان في نوع الفواتح والخواتم
وها انا اورد الباقي مع زوايد ونفايس لا توجد مجموعة في غير هذا الكتاب

الايهام

الايهام ويدعى التورية ان يذكر لفظ له معنيان اما بالاشتراك او التواطي او
الحقيقة والمجاز احدهما قريب والاخر بعيد ويقصد البعيد ويوري عنه
بالقريب فيتوهمه السامع من اول وهلة قال الزمخشري لا ترى البيان ادق
والطف من التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام الله
ورسوله قال ومن امثلتها الرحمن على العرش استوى فان الاستواء على معنيين
الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب الموري به الذي هو غير مقصود
لتنزيهه تعالى عنه والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي
وري عنه بالقريب المذكور انتهى وهذه التورية تسمى مجردة لانها لم يذكر
فيها شيء من لوازم الموري به ولا الموري عنه ومنها ما يسمى مرشحة وهي التي
ذكر فيها شيء من لوازم هذا او هذا كقوله والسماء بنيناها بايد فانه يحتمل
الجارحة وهو الموري به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان و يحتمل
القوة والقدرة وهو البعيد المقصود قال ابن ابي الاصبع في كتابه الاعجاز
يحتمل ومنها قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فان الضلال الحب وضد الهدى
فاستعمل اولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب فاليوم ننجيك ببدنك
على تفسيره بالدرع فان البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو
الجسد قال ومن ذلك قوله بعد ذكر اهل الكتاب من اليهود والنصارى
حيث قال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما
انت بتابع قبلتهم ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربي وتوجهت اليه
اليهود وتوجهت النصارى الى المشرق كانت قبلة الاسلام وسطا بين القبلتين

قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي خيارا وظاهر اللفظ يوهم التوسط
التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظة وسط
ههنا ان يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين ولما كان المراد بعدها
وهو الخيار صلحت ان تكون من امثلة التورية قلت وهي مرشحة بلازم
المورى عنه وهو قوله لتكونوا شهداء على الناس فانه من لوازم كونهم
خيارا اي عدولا والاتيان قبله من قسم المجردة ومن ذلك قوله
النجم والنجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر وعلى
ما لا ساق له من النبات وهو المعنى البعيد له وهو المقصود في الاية
ونقلت من خط الاسلام ابن حجر من التورية في القرآن قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس فان كافة بمعنى مانع اي تكفهم من الكفر
والمعصية والهاء للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر
ان المراد جامعة بمعنى جميعا لكن يمنع من حمله على ذلك ان التاكيد يتراخى
عن المؤكد فكما لا يقول رايت جميعا الناس لا يقول رايت كافة الناس
الاستخدام هو والتورية اشرف انواع البديع وهما سيان بل فضله
بعضهم عليها ولهم فيه عبارتان احداهما ان ياتي بلفظ له معنيان
فاكثر مرادا به احد معانيه ثم يؤتى بضمير مرادا به المعنى الآخر وهذه
طريقة السكاكي واتباعه والاخرى ان يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين
يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر الآخر وهذه طريقة بدر الدين
بن مالك في المصباح ومشى عليها ابن ابي الاصبع ومثل له بقوله تعالى

والنجم والشجر يسجدان قال الحجر

شيخ

كافة مانع

لكل

لكل اجل كتاب الاية فلفظ كتاب يحتمل الامد المحتوم والكتاب المكتوب فلفظ
اجل يخدم المعنى الاول ويمحو يخدم المعنى الثاني ومثل غيره بقوله لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى الاية فالصلوة يحتمل ان يراد بها فعلها وموضعها وقوله
حتى تعلموا ما تقولون يخدم الاول الا جنبا والا عابري سبيل يخدم الثاني
قيل ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي قلت وقد استخرجت بفكري آيات
على طريقته منها قوله تعالى اتى امر الله فامر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة
النبي صلعم وقد اريد بلفظه الاخير كما اخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن
ابن عباس في قوله اتى امر الله قال محمد واعيد الضمير عليه في تستعجلوه مرادا
به قيام الساعة والعذاب ومنها وهي اظهرها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فان المراد به آدم ثم اعاد الضمير عليه مرادا به ولده فقال
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ومنها قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم ثم قال قد سألها قوم من قبلكم اي اشياء اخر لان الاولين لم يسألوا
عن الاشياء التي سألوا عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها الالتفات نقل الكلام
من اسلوب الى آخر اعني من التكلم او الخطاب او الغيبة الى آخر منها بعد التعبير
بالاول هذا هو المشهور وقال السكاكي اما ذلك او التعبير باحدها فيما حقه
التعبير بغيره وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال
لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسامة من الاستمرار على منوال
واحد وهذه فائدته العامة ويختص كل موقع نكت ولطائف باختلاف
محله كما سنبينه مثاله من التكلم الى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على

الاستماع حيث اقبل المتكلم عليه واعطاه فضل عنايته وتخصيص بالموا
قوله تعـ وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون الاصل واليه
ارجع فالتفت من المتكلم الي الخطاب ونكتته انه اخرج الكلام في معرض
مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا واعلاما انه يريد لهم ما
يريد لنفسه ثم التفت اليهم لكونهم في مقام تخويفهم ودعوتهم الي الله
كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر لانه انما يكون منه اذا قصد
الاخبار عن نفسه في كلا الجملتين وهنا ليس كذلك لجواز ان يريد بقوله
ترجعون المخاطبين لا نفسه واجيب بانه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام
الانكاري لان رجوع العبد الي مولاه ليس بمستلزم ان يعبده غير ذلك
الراجع فالمعني كيف لا اعبد من اليه رجوعي وانما عدل عن واليه ارجع
الي واليه ترجعون لانه داخل فيهم ومع ذلك افاد فايدة حسنة وهي
تنبيههم علي انه مثلهم في وجوب عبادة من اليه الرجوع ومن امثلته
ايضـ قوله وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة ومثال الرجوع
التكلم الي الغيبة ووجهه ان يفهم السامع ان هذا نمط التكلم وقصده
من السامع حضر او غاب وانه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبدي
في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور قوله تعـ انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله والاصل لنغفر لك انا اعطيناك الكوثر فصل لربك والاصل
لنا امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك والاصل منا اني رسول الله
اليكم جميعا الي قوله فامنوا بالله ورسوله والاصل بي عدل عنه لنكتتين

اح

احداها دفع التهمة من نفسه بالعصبية لها الا لاخرى تنبيههم على استحقاقه
الاتباع بما وصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة ومثاله
من الخطاب الى التكلم لم يقع في القران ومثل له بعضهم بقوله فاقض ما انت
قاض ثم قال انا امنا بربنا وهذا المثال لا يصح لان شرط الالتفات ان يكون
المراد به واحدا ومثاله من الخطاب الى الغيبة حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم والاصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم لفاتت تلك الفائدة وقيل
لان الخطاب اولا كان مع الناس مومنهم وكافرهم بدليل هو الذي يسيركم
في البر والبحر فلو كان وجرين بكم للزم الذم للجميع فالتفت عن الاول
للاشارة الى اختصاصه بهولاء الذين شانهم ما ذكره فيهم آخر الاية
عدولا من الخطاب العام الى الخاص قلت ورايت عن بعض السلف في
توجيهه عكس ذلك وهو ان الخطاب اوله خاص وآخره عام فاخرج ابن
ابي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انه قال في قوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم قال ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم ولم
يقل وجرين بكم لانه قصد ان يجمعهم وغيرهم من الخلق هذه عبارته فلله
در السلف ما كان اوقفهم على المعاني اللطيفة التي يداب المتاخرون
فيها زمانا طويلا ويفنون فيها اعمارهم ثم غايتهم ان يحوموا حول الحمى وما
ذكر في توجيهه ايضا انهم وقت الركوب حضروا لانهم خافوا الهلاك وغلبة
الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن و
امنوا الهلاك وغلبة الرياح لم يبق لهم حضورهم كما كان على عادة الانسان

الى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم
وفعلهم اذ لو استمر على خطابهم

عنهم ر

انه اذا امن غاب قلبه عن ربه فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة
وهذه اشارة صوفية ومن امثلته ايضا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله
فاولئك هم المضعفون وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم
والاصل عليكم ثم قال وانتم فيها خالدون فكرر الالتفات ومثاله من
الغيبة الى التكلم الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه واوحى
في كل سماء امرها وزينا سبحان الذي اسرى بعبده الى قوله باركنا
حوله لنريه من اياتنا ثم التفت ثانيا الى الغيبة فقال انه هو السميع البصير
وعلى قراءة الحسن ليريه بالغيبة يكون التفاتا ثانيا في باركنا
وفي اياتنا التفات ثالث وفي انه التفات رابع قال الزمخشري وفائدته
في هذه الايات وامثالها التنبيه على التخصص بالقدرة وانه لا يدخل تحت
قدرة احد ومثاله من الغيبة الى الخطاب وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد
جئتم شيئا الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم ان اراد النبي ان
يستنكحها خالصة لك ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة فان العبد
اذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة
الاقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد انه مالك الامر كله في يوم الجزاء
يجد من نفسه حاملا لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته
بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات وقيل انما اختير لفظ

الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة الى ان الحمد دون العبادة في الرتبة
لانك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة
مع الخطاب لينسب الى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو اعلى رتبة
وذلك على طريق التادب وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال الذين
انعمت عليهم مصرحا بذكر المنعم واسناد الانعام اليه لفظا ولم يقل صراط
المنعم عليهم فلما صار الى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه لفظا
وجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فلم يقل غير الذي غضبت عليهم تاديبا
عن نسبة الغضب اليه في اللفظ حال المواجهة وقيل انه لما ذكر الحقيق بالحمد
واجري عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيما
ومالكا ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بان يكون معبودا
دون غيره مستعانا به فخوطب بذلك لتميزه بالصفات المذكورة تعظيما لشانه
حتى كانه قيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك
قيل ومن لطايفه التنبيه على ان مبتدا الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه
وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليهم فاذا عرفوه حق
معرفته بما هو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه واقروا بالمحامد له وتعبدوا
له بما يليق بهم تاهلوا المخاطبته ومناجاته فقالوا اياك نعبد واياك نستعين مبدا الحال
تنبيهات الاول شرط الالتفات ان يكون الضمير في المنتقل اليه عايدا في
نفس الامر الى المنتقل عنه والا يلزم عليه ان يكون في انت صديقي التفات
الثاني شرطه ايضا ان يكون في جملتين صرح به صاحب الكشاف وغيره والا لزم

عليه ان يكون   الثالث ذكر التنوخي في اقصى القرب وابن الاثير
وغيرهما نوعا غريبا من الالتفات وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب
فاعله او تكلمه كقوله غير المغضوب عليهم بعد انعمت فان المعنى غير الذين
غضبت عليهم وتوقف فيه صاحب عروس الافراح الرابع قال ابن ابي الاصبع
جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جدا لم اظفر في الشعر بمثاله وهو
ان يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتبين ثم يخبر عن الاول منهما وكقوله
ينصرف عن الاخبار عنه الى الاخبار عن الثاني ثم يعود الى الاخبار عن
الاول كقوله ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد انصرف عن
الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى ثم قال منصرفا عن الاخبار
عن ربه الى الاخبار عن الانسان وانه لحب الخير لشديد قال وهذا يحسن
ان يسمى التفات الضمائر الخامس يقرب من الالتفات نقل الكلام من
خطاب الواحد او الاثنين او الجمع لخطاب الآخر ذكره التنوخي وابن
الاثير وهو ستة اقسام ايضا مثاله من الواحد الى الاثنين قالوا اجئتنا
لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض والى الجمع يا
ايها النبي اذا طلقتم النساء ومن الاثنين الى الواحد فمن ربكما يا موسى فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى والى الجمع واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومن الجمع الى الواحد واقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين والى الاثنين يا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله
فباي آلاء ربكما تكذبان السادس ويقرب منه ايضا الانتقال من الماضي

او المضارع او الامر الي آخر مثال الدين الماضي الي المضارع ارسل الرياح فتثير
سحابا آخر من السماء فتخطفه الطير ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
والي الامر قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم واحلت لكم الانعام الا ما
يتلي عليكم فاجتنبوا ومن المضارع الي الماضي ويوم ينفخ في الصور ففزع
ويوم نسير الجبال وتري الارض بارزة وحشرناهم والي الامر قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء ومن الامر الي الماضي واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلي وعهدنا والي المضارع وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو
الذي اليه تحشرون الاطراد وهو ان يذكر المتكلم اسماء آباء الممدوح
مرتبة علي حكم ترتيبها في الولادة قال ابن ابي الاصبع ومنه في القرآن قوله
تعالى حكاية عن يوسف واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب قال
وانما لم يأت علي الترتيب المألوف فان العادة الابتداء بالاب ثم بالجد ثم
بالجد الاعلي لانه لم يرد هنا مجرد ذكر الاباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي
اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن اخذها عنه اولا فاولا علي الترتيب و
مثل قول اولاد يعقوب نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
الانسجام هو ان يكون الكلام لخلوه من العقادة متحدرا كتحدر الماء
المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة والقرآن
كله كذلك قال اهل البديع واذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته
موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونا
فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد واصنع

بحر شعر

الفلك باعيننا ومن البسيط فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ومن الوافر ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ومن الكامل والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم ومن الهزج فالقوه على وجه ابي يات بصيرا ومن
الرجز دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ومن الرمل وجفان
كالجواب وقدور راسيات ومن السريع او كالذي مر على قرية ومن المنسرح
انا خلقنا الانسان من نطفة ومن الخفيف لا يكادون يفقهون حديثا
ومن المضارع يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن المقتضب في قلوبهم
مرض ومن المجتث نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ومن المتقارب
واملي لهم ان كيدي متين الادماج قال ابن ابي الاصبع هو ان يدمج المتكلم
غرضا في غرض او بديعا في بديع بحيث لا يظهر في الكلام الا احد
الغرضين او احد البديعين كقوله وله الحمد في الاولى والآخرة اذ يجب
المبالغة في المطابقة لان انفراده تعالى بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي
لا يحمد فيه سواه مبالغة في الوصف بالانفراد بالحمد وهو ان خرج مخرج
المبالغة في الظاهر فالامر فيه حقيقة في الباطن فانه رب الحمد والمنفرد
به في الدارين انتهى قلت والاولى ان يقال في هذه الاية انها من ادماج
غرض في غرض فالغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد وادمج فيها الاشارة
الى البعث والجزاء الافتنان هو الاتيان في كلام بفنين مختلفين كالجمع
بين الفخر والتعزية في قوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام فانه تعالى عزى جميع المخلوقات من الانس والجن والملائكة وساير

والحشر ال

اصناف ما هو قابل للحيوة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر
لفظات مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والاكرام سبحانه
وتعالى ومنه ثم ننجي الذين اتقوا الاية جمع فيها بين هناء وعزاء الاقتدار
هو ان يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام
وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والاغراض فتارة ياتي به في لفظ
الاستعارة وتارة في صورة الارداف وحينا في مخرج الايجاز ومرة
في قالب الحقيقة قال ابن ابي الاصبع وعلى هذا اتت جميع قصص القرآن
فانك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تاتي في صورة مختلفة
وقوالب من الالفاظ المتعددة حتى لا يكاد يشتبه في موضعين منه ولا
بد ان تجد الفرق بين صورها ظاهرا ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه
مع المعنى الاول ان تكون الالفاظ يلائم بعضها بعضا بان يقرن الغريب
بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة والثاني ان تكون الفاظ
الكلام ملائمة للمعنى المراد فان كان فخما كانت الفاظه فخمة او جزلا فجزلة
او غريبا فغريبة او متداولة فمتداولة او متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك
فالاول كقوله تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اتى باغرب الفاظ
القسم وهي التاء فانها اغرب استعمالا وابعد من افهام العامة بالنسبة الى الباء (في الهامش: اقل ل)
والواو وباغرب صيغ الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الاخبار فان تزال
اقرب الى الافهام واكثر استعمالا منها وباغرب الفاظ الهلاك وهو الحرض
فاقتضى حسن الوضع في النظم ان تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرائب

توخيًا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالالفاظ ولتعادل الالفاظ
في الوضع وتناسب في النظم ولما اراد غير ذلك قال واقسموا بالله جهد ايمانهم
فاتى بجميع الالفاظ متداولة لا غرابة فيها ومن الثاني قوله تعالى ولا تركنوا الى
الذين ظلموا فتمسكم النار لما كان الركون الى الظالم وهو الميل اليه والاعتماد
عليه دون مشاركته في الظلم وجب ان يكون العقاب عليه دون العقاب
على الظلم فاتى بلفظ المس الذي هو دون الاحراق والاصطلاء وقوله
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت اتى بلفظة الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة
في جانب السيئة لثقلها وكذا قوله فكبكبوا فيها فانه ابلغ من كبوا للاشارة
الى انهم يكبون كبا عنيفا فظيعا وهم يصطرخون فانه ابلغ من يصرخون
للاشارة الى انهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد اخذ عزيز صراخًا ار
مقتدر فانه ابلغ من قادر للاشارة الى زيادة التمكن في القدرة وانه
لا راد له ولا معقب ومثل ذلك واصطبر فانه ابلغ من اصبر والرحمن فانه
ابلغ من الرحيم والرحيم فانه مشعر باللطف والرفق كما ان الرحمن
مشعر بالفخامة والعظمة ومنه الفرق بين سقى واسقى فان سقى لما لا
كلفة معه في السقيا ولهذا اورده تعالى في شراب الجنة فقال وسقاهم
ربهم شرابا طهورا واسقى لما فيه كلفة ولهذا اورده في شراب الدنيا فقال
واسقيناكم ماء فراتا لاسقيناهم ماء غدقا لان السقيا في الدنيا لا تخلو
من الكلفة ابدا الاستدراك والاستثناء شرط كونهما من البديع ان يتضمنا
ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه المعنى اللغوي مثال الاستدراك

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فانه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا
لكان منفرا لهم لانهم ظنوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقاد ايمانا فاوجبت البلاغة
ذكر الاستدراك ليعلم ان الايمان موافقة القلب للسان وان انفراد اللسان
بذلك يسمى اسلاما ولا يسمى ايمانا وزاد ذلك ايضاحا بقوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم فلما تضمن الاستدراك ايضاح ما عليه ظاهر الكلام من الاشكال عد
من المحاسن ومثال الاستثناء فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فان الاخبار
عن هذه المدة بهذه الصيغة تمهد عذر نوح في دعائه على قومه بدعوة
اهلكتهم عن آخرهم اذ لو قيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما لم يكن فيه
من التهويل ما في الاول لان لفظ الالف في الاول ما يطرق السمع ويشتغل
بها عن سماع بقية الكلام واذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدم وقع
يزيل ما حصل عنده من ذكر الالف. الاقتصاص ذكره ابن فارس وهو ان
يكون الكلام في سورة مقتصا من كلام في سورة اخرى او في تلك السورة
كقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين والآخرة
دار ثواب لا عمل فيها فهذا مقتص من قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى ومنه ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين مأخوذ
من قوله فاولئك في العذاب محضرون وقوله يوم يقوم الاشهاد مأخوذ
من اربع آيات لان الاشهاد اربعة الملائكة في قوله وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد والانبياء في قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
على هؤلاء شهيدا وامة محمد في قوله لتكونوا شهداء على الناس والاعضاء في

مقتص

قوله يوم يشهد عليهم السنتهم الآية وقوله يوم التناد قرئ مخففا ومشددا
فالاول مأخوذ من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار والثاني من قوله
يوم يفر المرء من اخيه الآية الابدال هو اقامة بعض الحروف مقام بعض وجعل منه
ابن فارس فانفلق اي انفرق ولذا قال كان كل فرق فالراء واللام متعاقبان
وعن الخليل في قوله فجاسوا خلال الديار انه اريد فحاسوا فقامت الجيم مقام
الحاء وقد قرئ بالحاء ايضا وجعل منه الفارسي اني احببت حب الخير اي الخيل
وجعل منه ابو عبيدة الا مكاء وتصدية اي تصددة تاكيد المدح بما يشبه الذم
قال ابن ابي الاصبع هو في غاية العزة في القرآن قال ولم اجد منه الا آية واحدة
وهي قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله الآية فان الاستثناء
بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم
ان ما ياتي بعده مما يوجب ان ينقم على فاعله مما يذم به فلما اتى بعد الاستثناء
ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تاكيد المدح بما يشبه الذم قلت و
نظيرها قوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وقوله الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فان ظاهر الاستثناء ان ما بعده حق
يقتضي الاخراج فلما كان صفة مدح يقتضي الاكرام لا الاخراج كان تاكيدا
للمدح بما يشبه الذم وجعل منه التنوخي في الاقصى القريب لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما استثنى سلاما سلاما الذي
هو ضد اللغو والتاثيم فكان ذلك مؤكدا لانتفاء اللغو والتاثيم انتهى لانتفاء كل
التفويف هو اتيان المتكلم لمعان شتى من المدح والوصف وغير ذلك

من التفويف

من الفنون كل فن في جملة منفصلة عن اختها مع تساوي الجمل في الزنة وتكون
في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمن الطويلة الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم
يحيين ومن المتوسطة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي قال ابن ابي الاصبع ولم يات المركب من القصيرة
في القرآن التقسيم هو استيفاء اقسام الشيء الموجودة لا الممكنة عقلا نحو هو الذي
يريكم البرق خوفا وطمعا اذ ليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق و
الطمع في الامطار ولا ثالث لهذين القسمين وقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فان العالم لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة
اما عاص ظالم لنفسه واما سابق مبادر للخيرات واما متوسط بينهما مقتصد
فيها ونظيرها وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون وكذا قوله له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك استوفى اقسام الزمان ولا رابع لها وقوله والله
خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع استوفى اقسام الخلق في المشي وقوله الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم استوفى جميع هيئات الذاكر وقوله يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
استوفى جميع احوال المتزوجين ولا خامس لها التدبيج هو ان يذكر المتكلم
الوانا يقصد التورية بها والكناية قال ابن ابي الاصبع كقوله ومن الجبال

جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود قال المراد بذلك والله اعلم
الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق لان الجادة البيضاء هي الطريق
التي كثر السلوك عليها جدًا وهي اوضح الطرق وابينها ودونها الحمراء ودون
الحمراء السوداء كانها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح
ولما كانت هذه الالوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة فالطرف
الاعلى في الظهور البياض والطرف الادنى في الخفاء السواد والاحمر بينهما
على وضع الالوان في التركيب وكانت الوان الجبال لا تخرج من هذه الالوان
الثلاثة والهداية كل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة اتت الآية الكريمة
منقسمة كذلك فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم التنكيت هو ان يقصد
المتكلم الى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لاجل نكتة في المذكور
ترجح مجيئه على سواه كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر
دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل
يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقًا الى عبادتها فانزل الله وانه
هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية التجريد هو ان ينتزع من امر ذي صفة
امرًا آخر مثله مبالغة في كمالها فيه نحو لي من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق
اخر مثله متصفا بصفة الصداقة ونحو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة
جرد من الرجل الكريم اخر مثله متصفًا بصفة الكرم وعطفوه عليه كانه
غيره وهو هو ومن امثلته في القرآن لهم فيها دار الخلد ليس المعنى ان الجنة
فيها دار خلد وغير دار خلد بل هي نفسها دار خلد فكانه جرد من الدار دارا ذكره

في الحب

ي سبب وجعل منه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي على ان المراد بالميت
النطفة قال الزمخشري وقراء عبيد بن عمير فكانت وردة كالدهان بالرفع
بمعنى حصلت منها وردة قال وهو من التجريد وقرئ يرثني وارث من آل وقرئ أيضا
يعقوب قال ابن جني هذا هو التجريد وذلك انه يريد وهب لي من لدنك وليا
يرثني منه وارث من آل يعقوب وهو الوارث نفسه فكانه جرد منه وارثا
التعديد هو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق واحد واكثر ما يوجد في الصفات
كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر وقوله التائبون العابدون الحامدون الآية وقوله مسلمات
مومنات الآية الترتيب هو ان يورد اوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة
الطبيعية ولا يدخل فيها وصفا زائدا ومثله عبد الباقي اليمني بقوله والله
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم
لتكونوا شيوخا وبقوله فكذبوه فعقروها الآية الترقي والتدلي تقدما
في نوع التقديم والتاخير التضمين يطلق على اشياء احدها ايقاع لفظ غيره
لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز تقدم فيه الثاني حصول معنى فيه من غير ذكر
له باسم هو عبارة عنه وهذا نوع من الايجاز تقدم ايضا الثالث تعلق ما
بعدها الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل الرابع ادراج كلام الغير في
اثناء الكلام لقصد تاكيد المعنى او ترتيب النظم وهذا هو النوع البديعي قال
ابن ابي الاصبع ولم اظفر في القران بشيء منه الا في موضعين تضمنا فصلين
من التورية والانجيل قوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية وقوله محمد

رسول الله الآية ومثله ابن النقيب وغيره بايداع حكايات المخلوقين في القرآن
كقوله تعالى حكاية عن الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وعن المنافقين انؤمن
كما آمن السفهاء وقالت اليهود وقالت النصارى قال وكذلك ما اودع فيه
من اللغات الاعجمية الجناس هو تشابه اللفظين في اللفظ قال في كنز البراعة
وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء
اليها ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس
تشوق اليه وانواع الجناس كثيرة منها التام بان يتفقا في انواع الحروف
واعدادها وهيآتها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما
لبثوا غير ساعة قيل ولم يقع في القرآن سواه واستنبط شيخ الاسلام ابن
حجر موضعا آخر منه وهو يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل
والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانكر بعضهم كون الآية الاولى من
الجناس وقال الساعة في الموضعين بمعنى واحد والتجنيس ان يتفق اللفظ
ويختلف المعنى ولا يكون احدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين
وزمان القيامة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق
الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وبذلك يخرج الكلام عن
التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا تعني بليدا ومنها المصحف ويسمى
جناس الخط بان تختلف الحروف في النقط كقوله والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين ومنها المحرف بان يقع الاختلاف في الحركات كقوله
ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقد اجتمع التصحيف

والتحريف في قوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومنها الناقص بان يختلفا
في عدد الحروف سواء كان الحرف المزيد اولا او وسطا او اخرا كقوله والتفت
الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلي من كل الثمرات ومنها المذيل
بان يزيد احدهما اكثر من حرف في الاخر او الاول وسمي بعضهم الثاني المتوج
كقوله وانظر الى الهك ولكنا كنا مرسلين من آمن بالله ان ربهم بهم مذبذبين
بين ومنها المضارع وهو ان يختلفا بحرف مقارب في المخرج سواء كان في
الاول او الوسط او الاخر كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنها
اللاحق بان يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك كقوله ويل لكل همزة لمزة
وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون واذا جاءهم امر من الامن ومنها المرفو وهو ما
يركب من كلمة وبعض اخرى كقوله جرف هار فانهار ومنها اللفظي بان
يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها تجنيس القلب بان يختلفا في ترتيب الحروف
نحو فرقت بين بني اسرائيل ومنها تجنيس الاشتقاق بل يجمعهما في اصل
الاشتقاق ويسمى المقتضب نحو فروح وريحان فاقم وجهك للدين القيم
وجهت وجهي ومنها تجنيس الاطلاق بان يجمعهما في المشابهة فقط كقوله
وجنى الجنتين قال اني لعملكم من القالين ليريه كيف يواري وان يردك بخير
فلا راد اثاقلتم الى الارض ارضيتم واذا انعمنا على الانسان اعرض الى قوله
فذو دعاء عريض تنبيه لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك

عند قوة المعنى كقوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين قيل ما الحكمة
في كونه لم يقل وما انت بمصدق لنا فانه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس
واجيب بان في مؤمن لنا من المعنى ما ليس في مصدق لان معنى قولك
فلانا مصدق لي قال لي صدقت واما مؤمن فمعناه مع التصديق اعطاء
الامن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الامن فلذلك عبر به وقد
زل بعض الادباء فقال في قوله اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين لو
قال وتدعون لكان احسن مراعاة للتجنيس واجاب الامام فخر الدين بان
فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكلفات بل لاجل قوة المعاني
وجزالة الالفاظ واجاب غيره بان مراعاة المعاني اولى من مراعاة اللفظ
ولو قيل اتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القاري فيجعلهما بمعنى واحد
تصحيفا وهذا الجواب غير ناجح واجاب ابن الزملكاني بان التجنيس تحسين
وانما يستعمل في مقام الوعد والاحسان لا في مقام التهويل واجاب الخويي
بان يدع اخص من يذر لانه بمعنى ترك الشيء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق
نحو الايداع فانه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ولهذا يختار
لها من هو مؤتمن عليها ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة واما يذر فمعناه الترك
مطلقا او الترك مع الاعراض والرفض الكلي قال الراغب يقال فلان يذر
الشيء اي انما يقذفه لقلة الاعتداد به ومنه الوذر قطعة من اللحم لقلة
الاعتداد به ولا شك ان السياق انما يناسب هذا دون الاول فاريد هنا
تشنيع حالهم في الاعراض عن ربهم وانهم بلغوا الغاية في الاعراض انتهى

هو

هو ان يجمع بين شيئين او اشياء متعددة في حكم كقوله المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا جمع المال والبنون في الزينة وكذا قوله الشمس والقمر بحسبان
والنجم والشجر يسجدان الجمع والتفريق هو ان يدخل شيئين في معنى ويفرق
بين جهتي الادخال وجعل منها الطيبي قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
الآية جمع النفسين في حكم التوفي ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالامساك
والارسال اي الله يتوفى الانفس التي تقبض والتي لم تقبض فيمسك الاولى
ويرسل الاخرى الجمع والتقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه كقوله
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعا يوم يأتي لا تكلم نفس
الا باذنه الآيات فالجمع في قوله لا تكلم نفس الا باذنه لانها متعددة معنى اذ
النكرة في سياق النفي تعم والتفريق قوله فمنهم شقي وسعيد والتقسيم قوله
فاما الذين شقوا واما الذين سعدوا جمع المؤتلف والمختلف وهو ان يريد التسوية
بين الممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح احدهما
على الآخر بزيادة فضل لا ينقص الآخر فيأتي لاجل ذلك بمعان تخالف معنى
التسوية كقوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية سوى في الحكم
والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم حسن النسق هو ان يأتي المتكلم بكلمات
متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا بحيث اذا افردت كل جملة
منه قامت بنفسها واستقل معناها ولفظها ومنها قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الآية فان جمله معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي

بلفظها

تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاهم الذي هو انحسار الما عن الارض
المتوقف عليه تمام ذلك من دفع اذاه بعد الخروج غاية مطلوب اهل السفينة
من الاطلاق من سجنها ثم انقطاع مادة السما المتوقف عليه تمام ذلك من
دفع اذاه بعد الخروج ومنع اخلاف ما كان بالارض ثم الاخبار بذهاب
الما بعد انقطاع المادتين الذي هو متاخر عنه قطعا ثم بقضا الامر الذي
هو هلاك من قدر هلاكه ونجاة من سبق نجاته واخر عما قبله لان علم ذلك
لاهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ثم اخبر باستوا
السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الامن من الاضطراب
ثم ختم بالدعا على الظالمين لافادة ان الغرق وان عم الارض فلم يشمل الا من
استحق العذاب لظلمه عتاب المرء نفسه منه ويوم يعض الظالم على يديه يقول
يا ليتني الآيات وقوله ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله
الآيات العكس وهو ان يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر
ويؤخر المقدم كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الميت من ويخرج الحي من الميت
الحي هن لباس لكم وانتم لباس لهن لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقد
سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ فاجاب ابن المنير بان فائدته الاشارة
الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب
الحق ان كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفي عنه الحل اما فعل المؤمنة
فيحرم لانها مخاطبة واما فعل الكافر فنفي عنه الحل باعتبار ان هذا الوطي

مشتمل علي المفسدة فليس الكفار موردا الخطاب بل الائمة ومن قام مقامهم
مخاطبون بمنع ذلك لان الشرع امر باخلاء الوجود من المفاسد فاتضح ان
المومنة نفي عنها الحل باعتبار والكافر نفي عنه الحل باعتبار قال ابن ابي الاصبع
ومن غريب اسلوب هذا النوع قوله تعالى ومن يعمل من الصلحات من ذكر
او انثي وهو مومن فاوليك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن فان نظم الاية الثانية عكس نظم الاية
الاولي لتقديم العمل في الاولي عن الايمان وتاخيره في الثانية عن الاسلام
ومنه نوع يسمي القلب والمقلوب المستوي وما لا يستحيل بالانعكاس وهو
ان يقرا الكلمة من اخرها الي اولها كما تقرا من اولها الي اخرها كقوله تعالى
كل في فلك وربك فكبر ولا ثالث لهما في القران العنوان قال ابن
ابي الاصبع هو ان ياخذ المتكلم في غرض فياتي لقصد تكميله وتاكيده
بامثلة في الفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة ومنه نوع
عظيم جدا وهو عنوان العلوم بان يذكر في الكلام الفاظ تكون مفاتيح
لعلوم ومداخل لها فمن الاول قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها الاية فانه عنوان قصة بلعام ومن الثاني قوله تعالى انطلقوا
الي ظل ذي ثلث شعب الاية فيها عنوان علم الهندسة فان الشكل المثلث
اول الاشكال واذا نصب في الشمس علي اي ضلع من اضلاعه لا يكون
له ظل لتحديد رءوس زواياه فامر الله تعالى اهل جهنم بالانطلاق الي ظل
هذا الشكل تهكما بهم وقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض

الايات فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة الفرايد هو مختص
بالفصاحة دون البلاغة لان الاتيان بلفظة يتنزل منزلة الفريدة من
العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها يدل على عظم فصاحة الكلام وقوة
عارضته وجزالة منطقه واصالة عربيته بحيث لو اسقطت من الكلام
منطقه
عزت على الفصحاء ومنه لفظة حصحص في قوله الآن حصحص الحق والرفث
في قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ولفظة فزع في قوله حتى اذا
فزع عن قلوبهم وخائنة في قوله يعلم خائنة الاعين والفاظ قوله فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا وقوله فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين القسم
هو ان يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له او تعظيم لشانه
او تنويه لقدره او ذم لغيره او جاريا مجرى الغزل والترفق او خارجا
مخرج الموعظة والزهد كقوله فورب السماء والارض انه لحق مثل انكم تنطقون
اقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم القدرة واجل العظمة
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اقسم سبحانه بحيوة نبيه صلعم تعظيما لشانه
وتنويها بقدره وسياتي في نوع الاقسام اشياء تتعلق بذلك اللف والنشر
هو ان يذكر شيئان او اشياء اما تفصيلا بالنص على كل واحد او اجمالا بان
يؤتى بلفظ تشتمل على متعدد ثم يذكر اشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع
الى واحد من المتقدم ويفوض الى عقل السامع رد كل واحد الى ما يليق
به فالاجمالي كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة
الا النصارى

الا النصارى وانما سوغ الاجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى
فلا يمكن ان يقال احد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل
في انه يرد كل قول الى فريقه لامن اللبس وقايل ذلك يهود المدينة ونصارى
نجران قلت وقد يكون الاجمال في النشر لا في اللف بان يؤتى بمتعدد ثم
بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لها كقوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر على قول ابي عبيدة ان الخيط الاسود اريد به الفجر
الكاذب لا الليل وقد نبهت في اسرار التنزيل والتفصيلي قسمان احدهما
ان يكون على ترتيب اللف كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار وقوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا فاللوم راجع الى البخل ومحسورا راجع الى الاسراف لان معناه منقطعا
لا شيء عندك وقوله الم يجدك يتيما الآيات فان قوله فاما اليتيم فلا تقهر
راجع الى قوله الم يجدك يتيما واما السايل فلا تنهر راجع الى قوله ووجدك
ضالا فهدى فان المراد السايل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره واما بنعمة
ربك فحدث راجع الى قوله ووجدك عايلا فاغنى رايت هذا المثال في
شرح الوسيط للنووي المسمى بالتنقيح والثاني ان يكون على عكس ترتيبه
كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الى
آخره وجعل منه جماعة قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله الا ان نصر الله قريب فالوا متى نصر الله قول الذين آمنوا والا ان نصر الله قريب

قالوا متى نصر الله قول الذين آمنوا والا ان نصر الله قريب قول الرسول
وذكر الزمخشري له قسماً آخر كقوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله قال هذا من باب اللف وتقديره ومن آياته منامكم
وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين منامكم وابتغاؤكم
بالليل والنهار لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كالشيء الواحد مع اقامة
اللف على الاتحاد المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً
او تقديراً اما الاول كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ومكروا
ومكر الله فان اطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى انما هو للمشاكلة
ما معه وكذا قوله جزاء سيئة سيئة مثلها لان الجزاء حق لا يوصف بانه سيئة
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم
سخر الله منهم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ومثال التقدير قوله
تعالى صبغة الله اي تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون انه تطهير لهم
يعبر عن الايمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة المزاوجة ان تزاوج
بين معنيين في الشرط والجزاء او ما جرى مجراها كقوله اذا ما نهى الناهي
فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بي الهجر ومنه في القرآن اتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين المبالغة ان يذكر
المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون ابلغ في المعنى الذي قصده وهي ضربان
مبالغة بالوصف بان يخرج الى حد الاستحالة ومنه يكاد زيتها يضيء ولو لم

عسسه نار ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ومبالغة بالصيغة
وصيغ المبالغة فعلان كالرحمن وفعيل كالرحيم وفعّال كالتواب والغفار
والقهار وفعول كغفور وشكور وودود وفعل كحذر واشر وفرح وفعال
بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار وفُعَل كلُبَد وكبر وفعلى كالعليا والحسنى
والسوري والسوآي فائدة الاكثر على ان فعلان ابلغ من فعيل ومن ثم قيل
الرحمن ابلغ من الرحيم ونصره السهيلي بانه ورد على صيغة التثنية والتثنية
تضعيف فكان البناء تضاعفت فيه الصفة وذهب ابن الانباري الى ان
الرحيم ابلغ من الرحمن ورجحه ابن عسكر بتقدم الرحمن عليه وبانه جاء على
صيغة الجمع كعبيد وهو ابلغ من صيغة التثنية وذهب قطرب الى انهما سواء
فائدة ذكر البرهان الرشيدي ان صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها
مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان يثبت للشيء اكثر
مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها وايضا فالمبالغة تكون
في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه
الشيخ تقي الدين السبكي وقال الزركشي في البرهان التحقيق ان صيغ المبالغة
قسمان احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد
المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد
قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال
ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرائع وقال
في الكشاف المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده

اولانه يبلغ في قبول التوبة تنزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه

وقد اورد بعض الفضلاء سؤالا على قوله والله على كل شيء قدير وهو انه قدير

من صيغ المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر والزيادة على معنى

قادر محال اذ الايجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد

واجيب بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد

التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف المطابقة

ويسمى الطباق الجمع بين متضادين في الجملة وهو قسمان حقيقي ومجازي

الثاني يسمى التكافؤ وكل منهما اما لفظي او معنوي واما طباق ايجاب

اوسلب فمن امثلة ذلك فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وانه هو اضحك و

ابكى وانه هو امات واحيى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم و تحسبهم

ايقاظا وهم رقود ومن امثلة المجاز اومن كان ميتا فاحييناه اي ضالا

فهديناه ومن امثلة طباق السلب تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك

فلا تخشوا الناس واخشون ومن امثلة المعنوي ان انتم الا تكذبون قالوا

ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون معناه ربنا يعلم انا الصادقون جعل لكم

الارض فراشا والسماء بناء قال ابو علي الفارسي لما كان البناء رفعا

للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء ومنه نوع يسمى الطباق

الخفي كقوله مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا لان الغرق من صفات

الماء فكانه جمع بين الماء والنار قال ابن منقذ هي اخفى مطابقة في القران

وقال ابن المعتز من املح الطباق واخفاه قوله تعو ولكم في القصاص حيوة لان معنى

القصاص

القصاص القتل فصار القتل سبب الحيوة ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام
وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله ان لك ان لا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى جاء بالجوع مع العري وبابه ان
يكون مع الظماء وبالضحى مع الظماء وبابه ان يكون مع العري لان الجوع و العري
اشتركا في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من
اللباس والظماء والضحى اشتركا في الاحتراق والظماء احتراق الباطن من
العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس ومنه نوع يسمى المقابلة وهو ان
ان يذكر لفظان فاكثر ثم اضدادها على الترتيب قال ابن ابي الاصبع والفرق
بين الطباق والمقابلة من وجهين احدهما ان الطباق لا يكون الا بين ضدين
فقط والمقابلة لا يكون الا بما زاد من الاربعة الى العشرة والثاني ان الطباق
لا يكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وبغيرها قال السكاكي ومن خواص
المقابلة انه اذا شرط في الاول امر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق الآيتين قابل بين الاعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء
والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ولما جعل التيسير في الاول
مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا
بين اضدادها وقال بعضهم المقابلة اما الواحد بواحد وذلك قليل جدا
كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم او اثنين باثنين كقوله فليضحكوا قليلا و
ليبكوا كثيرا او ثلاثة بثلاثة كقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر و
يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث واشكروا لي ولا تكفرون او اربعة

ازدوج سواد الليل يشعر بالنفس
وبياض الصبح يعرب عن
فرق بين الحمرة
الزهرة والاس السواد والبياض
الليل والصبح الشعر والاعوش
اللائح الشعاع والباهر للنظر

باربعة كقوله فاما من اعطي الاتيين او خمسة بخمسة كقوله ان الله لا يستحيي
الآيات قابل بين بعوضة فما فوقها وبين فاما الذين آمنوا واما الذين كفروا
وبين يضل ويهدي وبين ينقضون ميثاقه وبين يقطعون وان يوصل
او ستة بستة كقوله زين للناس حب الشهوات الآية ثم قال قل اونبئكم الآية
قابل بينها الجنات والانهار والخلد والازواج والتطهير والرضوان بازاء
النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
وقسم آخر المقابلة الى ثلاثة انواع نظيري ونقيضي وخلافي فمثال الاول
مقابلة السنة بالنوم في الآية الاولى فانهما جميعا من باب الرقاد المقابل
باليقظة في آية وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وهذا مثال الثاني فانهما نقيضان
ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد في قوله انا لا ندري اشر اريد بمن في
الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فانهما خلافان لا نقيضان فان نقيض الشر
الخير والرشد الغي المواربة براء مهملة وباء موحدة ان يقول المتكلم قولا
يتضمن بما ما بحريف كلمة او تصحيفها او زيادة او نقص قال ابن ابي الاصبع
ما ينكر عليه فاذا حصل الانكار
استحضر بحذقه وجها من الوجوه وتخلص صح
ومنه قوله تعالى حكاية عن اكبر اولاد يعقوب ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق فانه قرئ ان ابنك سُرِّق ولم يسرق فاتي بالكلام
ابنك سُرِّق
على الصحة بابدال الضمة من فتحة وتشديد في الراء وكسرها المراجعة
بمكان
قال ابن ابي الاصبع هي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين
محاور له باوجز عبارة واعدل سبك واعذب الفاظ ومنه قوله تعالى قال اني
جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

هذه القطعة وهي بعض آية ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام من الخبر و
الاستخبار والامر والنهي والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم قلت احسن
من هنع هذا ان يقال جمعت الخبر والطلب والاثبات والنفي والتاكيد
والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد النزاهة هو خلوص الفاظ
الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال ابو عمرو بن العلا وقد سيل عن احسن
الهجا هو الذي اذا انشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها فمنه
قوله تعو واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ثم
قال افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
بل اوليك هم الظالمون فان الفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر اتت منزهة
عما يقع في الهجاء من الفحش وساير هجا القرآن كذلك الابداع بالبا
الموحدة هو ان يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع قال ابن ابي الاصبع
ولم ار في الكلام مثل قوله تعو وقيل يا ارض ابلعي ماءك الاية فان فيها
عشرين ضربا من البديع وهي سبعة عشر لفظة وذلك المناسبة التامة
في ابلعي واقلعي والاستعارة فيهما والطباق بين الارض والسماء والمجاز
في قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر السماء والاشارة في وغيض الماء فانه عبر
عن معان كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما
يخرج منها من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الارض من الماء والارداف
في واستوت والتمثيل في وقضي الامر والتعليل فان غيض الماء علة الاستواء
وصحة التقسيم فانه استوعب اقسام الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
اربعة عشرين ضربا

والماء النابع من الارض وغيض الماء الذي على ظهرها والاحتراس في
الدعاء لئلا يتوهم ان الغرق لعمومه شمل من لا يستحق الهلاك فان
عدله تعالى يمنع ان يدعو على غير مستحق وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع
المعنى والايجاز فانه تعالى قص القصة مستوعبة باخصر عبارة و التسهيم
لان اول الاية يدل على اخرها والتهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات
الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من
البشاعة وعقادة التركيب وحسن البيان من جهة ان السامع لا يتوقف في
فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شي منه والتمكين لان الفاصلة مستقرة في
محلها مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاة والانسجام هذا ما ذكره
ابن ابي الاصبع قلت وفيها ايضا الاعتراض النوع التاسع والخمسون في
فواصل الاي الفاصلة كلمة اخر الاية كقافية الشعر وقرينة السجع قال
الداني كلمة اخر الجملة قال الجعبري وهو خلاف المصطلح ولا دليل
له في تمثيل سيبويه بيوم يات وما كنا نبغ وليسا راس اية لان مراده الفواصل
اللغوية لا الصناعية وقال القاضي ابو بكر الفواصل حروف متشاكلة في
المقاطع يقع بها افهام المعاني وفرق الداني بين الفواصل ورؤس الاي
فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون
راس اية وغير راس وكذلك الفواصل تكن رؤس اي وغيرها وكل
راس اية فاصلة وليس كل فاصلة راس اية قال ولاجل كون معنى الفاصلة
هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي يوم يات وما كنا نبغ وليسا راس اية

اجماعاً مع اذا يسر وهو رأس آية باتفاق وقال الجعبري لمعرفة الفواصل
طريقان توقيفي وقياسي اما التوقيفي فما ثبت انه صلعم وقف عليه دائماً
تحققنا انه فاصلة وما وصله دائماً تحققنا انه ليس بفاصلة وما وقف عليه
مرة ووصله اخرى احتمل الوقف ان يكون لتعريف الفاصلة او لتعريف الوقف
التام او للاستراحة والوصل ان يكون غير فاصلة او فاصلة وصلها لتقدم
تعريفها واما القياسي فهو ما الحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا
محذور في ذلك لانه لا زيادة فيه ولا نقصان وانما غايته انه محل فصل او
وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القران كله جائز فاحتاج القياسي
الى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية
البيت في الشعر وما يذكر في عيوب القافية من اختلاف الحذو والاشباع و
التوجيه فليس بعيب في الفاصلة وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة
وقافية الارجوزة من نوع الى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى
ترجعون مع عليم والميعاد مع الثواب والطارق مع الثاقب والاصل في
اجمع الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة ومن ثم اجمع العادون
على ترك عد ويأت بآخرين ولا الملائكة المقربون في النساء وكذب بها
الاولون بسبحان ولتبشر به المتقين بمريم ولعلهم يتقون بطه ومن الظلمات الى
النور وان الله على كل شيء قدير بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه وعلى
ترك عد افغير دين الله يبغون افحكم الجاهلية يبغون وعدوا نظايرها
للمناسبة نحو لاولي الالباب بآل عمران وعلى الله كذبا بالكهف والسلوى بطه

وقال غيره تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها
وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لانه ينفصل
عنده الكلامان وذلك ان آخر الاية فصل بينها وبين ما بعدها واخذا من
قوله تعالى كتاب فصلت آياته ولا يجوز تسميتها قوافي اجماعا لان الله لما سلب عنه
اسم الشعر وجب سلب القافية عنه ايضا لانها منه وخاصة به في الاصطلاح
وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لانها صفة لكتاب الله تعالى
فلا تتعداه وهل يجوز استعمال السجع في القرآن خلاف والجمهور على المنع لان
اصله من سجع الطير فشرف القرآن ان يستعار لشيء منه لفظ اصله مهمل ولاجل
تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ولان القرآن
من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها وقال الرماني في اعجاز
القرآن ذهب الاشعرية الى امتناع ان يقال في القرآن سجع وفرقوا بان السجع هو الذي
يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون
مقصودة في نفسها قال ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا وتبعه
على ذلك القاضي ابو بكر الباقلاني ونقله عن نص ابي الحسن الاشعري واصحابنا
كلهم قال وذهب كثير من غير الاشاعرة الى اثبات السجع في القرآن وزعموا
ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التي يقع بها التفاضل في
البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال واقوى ما استدلوا به
الاتفاق على ان موسى افضل من هرون ولمكان السجع قيل في موضع هارون
وموسى ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهارون قالوا

وهذا

وهذا يفارق امر الشعر لانه لا يجوز ان يقع في الخطاب الا مقصوداً اليه واذا وقع
غير مقصود اليه كان دون القدر الذي يسميه شعراً وذلك القدر مما يتفق وجوده
من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر واما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح
ان يتفق كله غير مقصود اليه وبنوا الامر في ذلك على تحديد معنى السجع فقال
اهل اللغة هو موالاة الكلام على حد واحد وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه
رددت صوتها قال القاضي وهذا غير صحيح ولو كان القرآن سجعاً لكان
غير خارج عن اساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز ان
يقال هو سجع معجز لجاز ان يقول شعر معجز كيف والسجع كان مما يالفه الكهان من العرب
ونفيه من القرآن اجدر بان يكون حجة من نفي الشعر لان الكهانة تنافي النبوات
بخلاف الشعر وقد قال صلعم اسجع كسجع الكهان فجعله مذموماً قال وما توهموا
انه سجع باطل لان مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو لان السجع يتبع المعنى
فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من
القرآن لان اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى وفرق بين ان ينتظم الكلام في نفسه
بالفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين ان يكون المعنى منتظماً دون
اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى انتظم
المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى
قال وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من اخل به وقع الخلل في كلامه ونسب
الى الخروج عن الفصاحة كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً
وانت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متداني المقاطع وبعضها يمتد حتى

يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة في ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير
وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود وقال واما ما ذكروه من تقديم موسى
على هارون في موضع وتاخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع
الكلام فليس بصحيح بل الفايدة فيه اعادة القصة الواحدة بالفاظ مختلفة
تودي معنى واحدا وذلك من الامر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين
فيه البلاغة ولهذا اعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها
بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدا به ومتكررا ولو امكنهم المعارضة
لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بالفاظ لهم تودي الى تلك المعاني ونحوها
فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتاخيرها اظهار الاعجاز
دون السجع الى ان قال فبان بان الحروف الواقعة في الفواصل متناسبة موقع
النظاير التي تقع في الاسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخل في باب السجع وقد
بينا انهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء وكان بعض مصاريعه
كلمتين وبعضها اربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا
اشتمال القران على السجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فنزيد في الفصاحة
على طريقة القران انتهى كلام القاضي في دلايل الاعجاز ونقل صاحب عروس
الافراح عنه انه ذهب في الانتصار الى جواز تسمية الفواصل سجعا وقال
الخفاجي في سر الفصاحة قول الرماني ان السجع عيب والفواصل بلاغة
غلط فانه ان اراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود فذلك بلاغة
والفواصل مثله وان اراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف

فذلك

فذلك عيب والفواصل بلاغة قال واظن الذي دعاهم الى تسمية كل ما في
القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن
على الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم وهذا
غرض في التسمية قريب والحقيقة ما قلناه وقال والتحرير ان الاسجاع
حروف متماثلة في مقاطع الفواصل قال فان قيل اذا كان عندكم ان السجع
محمود فهلا ورد القرآن مسجوعا وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا
وبعضه غير مسجوع قلنا ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم
وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا لما فيه من امارات التكلف
والاستكراه لا سيما مع طول الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منه على عرفهم في
اللطيفة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لانه يحسن في بعض الكلام
على الصفة السابقة وقال ابن النفيس يكفي في حسن السجع ورود القرآن
به قال ولا يقدح في ذلك خلوه في بعض الايات لان الحسن قد يقتضي المقام
الانتقال الى احسن منه وقال حازم من الناس من يكره تقطيع الكلام الى
مقادير متناسبة الاطراف غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف
الا ما يقع به الالمام في النادر من الكلام ومنهم من يرى ان التناسب الواقع
بافراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع اكيد جدا ومنهم
وهو الوسط من يرى ان السجع وان كان زينة الكلام فقد يدعو الى التكلف
فرأى ان لا يستعمل في جملة الكلام وان لا يخلى الكلام منه جملة وانه يقبل
منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف قال وكيف يعاب السجع على الاطلاق

ظ الطبقة

والالمام النزول صح

الكثيرة ام

وانما نزل في القران على اساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل
فيه بازاء ورود الاسجاع في كلامهم وانما لم يجئ على اسلوب واحد لانه
لا يحسن في الكلام جميعا ان يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من
التكلف ولما في الطبع من الملل ولان الافتنان في ضروب الفصاحة اعلى
من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة
المقاطع وبعضها غير متماثل فصل الف الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفي
كتابا سماه احكام الراي في احكام الآي قال فيه اعلم ان المناسبة امر مطلوب
في اللغة العربية يرتكب لها امور من مخالفة الاصول قال وقد تتبعت
الاحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف
عن الاربعين حكما احدها تقديم المعمول اما على العامل نحو اياكم كانوا يعبدون
قيل ومنه اياك نستعين او على معمول اخر اصله التقديم نحو لنريك من
آياتنا الكبرى اذا اعربنا الكبرى مفعول نري او على الفاعل نحو ولقد جاء آل
فرعون النذر ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ولم يكن له كفوا احد الثاني
تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو فلله الآخرة والاولى ولولا مراعاة الفواصل
لقدمت الاولى كقوله له الحمد في الاولى والآخرة الثالث تقديم الفاضل على
الافضل نحو برب هارون وموسى وتقدم ما هو فيه الرابع تقديم الضمير على
ما يفسره نحو فاوجس في نفسه خيفة موسى الخامس تقديم الصفة الجملة
على الصفة المفرد نحو ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا السادس
حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال يوم التناد السابع حذف

يا والفعل

ياء الفعل غير المجزوم نحو والليل اذا يسر الثامن حذف ياء الاضافة نحو
فكيف كان عذابي ونذر فكيف كان عقاب التاسع زيادة حرف المد
نحو الظنونا والرسولا والسبيلا ومنه ابقاؤه مع الجازم نحو لا تخاف دركا
ولا تخشى سنقرئك فلا تنسى على القول بانه نهي العاشر صرف ما لا
ينصرف نحو قواريرا قواريرا الحادي عشر ايثار تذكير اسم الجنس كقوله اعجاز
نخل منقعر الثاني عشر ايثار تانيثه نحو اعجاز نخل خاوية ونظير هذين قوله
في القمر وكل صغير وكبير مستطر وفي الكهف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها الثالث عشر الاقتصار على احد الوجهين الجائزين اللذين
قرئ بهما في السبع في غير ذلك كقوله فاولئك تحروا رشدا ولم يجيء رشدا
في السبع وكذلك وهيئ لنا من امرنا رشدا لان الفواصل في السورتين
متحركة الوسط وقد جاء في وان يروا سبيل الرشد وبهذا يبطل ترجيح
الفارسي قراءة التحريك بالاجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة تبت
يدا ابي لهب بفتح الهاء وسكونها ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهب الا بالفتح
لمراعاة الفاصلة الرابع عشر ايراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه
المطابقة في الاسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين لم يطابق بين قولهم امنا وبين ما ورد به
فيقول ولم يؤمنوا او وما امنوا لذلك الخامس عشر ايراد احد القسمين غير
مطابق للآخر كذلك نحو فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
ولم يقل الذين كذبوا السادس عشر ايراد احد جزئي الجملتين على غير الوجه الذي

اورد نظيرها من الجملة الاخرى نحو اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
السابع عشر ايثار اغرب اللفظين نحو قسمة ضيزى ولم يقل جايرة لينبذن في
الحطمة ولم يقل جهنم او النار وقال في المدثر ساصليه سقر وفي سال انها لظى وفي
القارعة فامه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة الثامن عشر اختصاص كل من المشتركين
بموضع نحو وليذكر اولوا الالباب وفي سورة طه ان في ذلك لآيات لاولي النهى
التاسع عشر حذف المفعول نحو فاما من اعطى واتقى وما ودعك ربك وما قلى
ومنه حذف متعلق افعل التفضيل نحو يعلم السر واخفى خير وابقى العشرون
الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى الحادي والعشرون
الاستغناء به عن الجمع نحو واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل ايمة كما قال وجعلنا
هم ايمة يهدون ان المتقين في جنات ونهر اي انهار الثاني والعشرون الاستغناء
بالتثنية عن الافراد نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الفرا اراد جنة لقوله
فان الجنة هي الماوى فثنى لاجل الفاصلة قال والقوافي يحتمل فيها الزيادة و
النقصان ما لا يحتمله ساير الكلام ونظير ذلك قول الفرا ايضا في قوله اذ انبعث
اشقاها انهما رجلان قدار وآخر معه ولم يقل اشقياها للفاصلة وقد انكر
ذلك ابن قتيبة واغلظ فيه وقال انما يجوز في رؤس الآي زيادة هاء السكت
او الالف او حذف همزة او حرف فاما ان يكون الله وعد جنتين فيجعلهما
جنة واحدة لاجل رؤس الآي فمعاذ الله وكيف هذا وهو يصفها بصفة الاثنين
قال ذواتا افنان ثم قال فيهما فيهما واما ابن الصايغ فانه نقل عن الفرا
انه اراد جنات فاطلق الاثنين على الجمع لاجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد

قال

قال وانما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة الاثنين مراعاة اللفظ وهذا هو الثالث
والعشرون الرابع والعشرون الاستغناء بالجمع عن الافراد نحو لا بيع فيه ولا خلال
اي ولا خلة كما في الاية الاخرى وجمع مراعاة للفاصلة الخامس والعشرون
اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رايتهم لي ساجدين كل في فلك يسبحون
السادس والعشرون امالة ما لا يمال كآي طه والنجم السابع والعشرون الاتيان
بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو هو القادر وعالم الغيب ومنه
وما كان ربك نسيا الثامن والعشرون ايثار بعض اوصاف المبالغة على بعض
نحو ان هذا لشيء عجاب اوثر على عجيب لذلك التاسع والعشرون الفصل بين
المعطوف والمعطوف عليه نحو ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل
مسمى الثلاثون ايقاع الظاهر موقع المضمر نحو والذين يمسكون بالكتاب و
اقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وكذا آية الكهف الحادي والثلاثون
وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا كان وعده ماتيا اي ساترا و
آتيا الثاني والثلاثون وقوع فاعل موقع مفعول نحو عيشة راضية ماء دافق
الثالث والثلثون الفصل بين الموصوف والصفة نحو اخرج المرعى فجعله
غثاء احوى ان اعرب احوى صفة المرعى اي حالا الرابع والعشرون [والثلاثون] ايقاع
حرف مكان غيره نحو بان ربك اوحى لها والاصل اليها الخامس والثلاثون
تاخير الوصف غير الابلغ عن الابلغ ومنه الرحمن الرحيم رؤوف رحيم لان الرافة
ابلغ من الرحمة السادس والثلثون حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو وما لاحد
عنده من نعمة تجزى السابع والثلثون اثبات هاء السكت نحو ماليه سلطانيه

الثامن والثلاثون الجمع بين المجرورات نحو ثم لا تجد لك به علينا تبيعا
فان الاحسن الفصل بينها الا ان مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتاخير تبيعا
التاسع والثلاثون العدول من صيغة المضي الى صيغة الاستقبال نحو ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون والاصل قتلتم الاربعون تغيير بنية الكلمة نحو وطور
سينين والاصل سينا تنبيه قال ابن الصايغ لا يمتنع في توجيه الخروج
عن الاصل في الايات المذكورة امور اخرى مع وجه المناسبة فان القران العظيم
كما جاء في الاثر لا تنقضي عجايبه فصل قال ابن الاصبع لا تخرج فواصل القران
عن احد اربعة اشيا التمكين والتصدير والتوشيح والايغال فالتمكين ويسمى
ايتلاف القافية ان يمهد الناثر للقرينة او الشاعر للقافية تمهيدا تاتي به
القافية او القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها
غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث
لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه
ومن امثلة ذلك يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك الاية فانه لما تقدم
في الاية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الاموال اقتضى ذلك ذكر الحلم
والرشد على الترتيب لان الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الاموال
وقوله اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في
ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الما الى قوله افلا يبصرون فاتى في
الاية الاولى بيهد لهم وختمها بيسمعون لان الموعظة فيها مسموعة وهي اخبار
القرون وفي الثانية بيروا وختمها بيبصرون لانها مرئية وقوله لا تدركه الابصار

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فان اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر
والخبير يناسب ما يدركه وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى
قوله فتبارك الله احسن الخالقين فان في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب
لما قبلها وقد بادر بعض الصحابة حين نزول اول الاية الى ختمها بها قبل ان يسمع
آخرها فاخرج ابن ابي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال املى
على رسول الله صلعم هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى
قوله خلقا آخر قال معاذ بن جبل فتبارك الله احسن الخالقين فضحك رسول الله
فقال له معاذ بم ضحكت يا رسول الله قال بها ختمت وحكي ان اعرابيا سمع قاريا
يقرا فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم ولم
يكن يقرا القران عزيز حكيم فقال ان كان هذا كلام الله لا يقول كذا الحكيم لا
يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه تنبيهات الاول قد يجتمع فواصل
في موضع واحد ويخالف بينها كاوايل النحل فانه تعالى بدا بذكر الافلاك فقال
خلق السموات والارض بالحق ثم ذكر خلق الانسان من نطفة ثم خلق الانعام
ثم عجايب النبات فقال هو الذي انزل من السماء ما لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فجعل مقطع هذه الآية
التفكر لانه استدلال بحدوث الانواع المختلفة من النبات على وجود الاله
القادر المختار ولما كان هنا مظنة سوال وهو انه لم لا يجوز ان يكون المؤثر
فيه طبايع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لا يتم الا بالجواب

قال معاذ فتبارك الله

الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل

عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا فاجاب تعالى عنه
من وجهين احدها ان تغيرات العالم السفلي مربوط باحوال حركات
الافلاك فتلك الحركات كيف حصلت فان كان حصولها بسبب افلاك
اخرى لزم التسلسل وان كان من الخالق الحكيم فذلك اقرار بوجود الاله
تعالى وهذا هو المراد بقوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجعل مقطع هذه الاية العقل
وكانه قيل ان كنت عاقلا فاعلم ان التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات الى
حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الاله القادر المختار والثاني ان نسبة
الكواكب والطبايع الى جميع اجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة
ثم انا نرى الورقة الواحدة من الورد احد وجهيها في غاية الحمرة والاخرى
في غاية السواد فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول التفاوت في الاثار هذا م
فعلمنا ان المؤثر قادر مختار وهذا هو المراد من قوله وما ذرا لكم في الارض
مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون كانه قيل اذكر ما ترسخ
في عقلك ان الواجب بالذات والطبع لا يختلف تاثيره فاذا نظرت حصول
هذا الاختلاف علمت ان المؤثر ليس هو الطبايع بل الفاعل المختار فلهذا
جعل مقطع الاية التذكر ومن ذلك قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الايات
فان الاولى ختمت بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة
بقوله لعلكم تتقون لان الوصايا التي في الاية الاولى انما يحمل على تركها عدم
العقل الغالب على الهوى لان الاشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده

عظمته

وعظمته وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق احسانهما الى الولد
بكل طريق وكذلك قتل الاولاد بالوأد من الاملاق مع وجود الرازق الحي
الكريم وكذلك اتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل النفس لغيظ او غضب
في القاتل فحسن بعد ذلك تعقلون واما الثانية فلتعلقها بالحقوق المالية
والقولية فان من علم ان له ايتاما يخلفهم من بعده لا يليق به ان يعامل ايتام
غيره الا بما يجب ان يعامل به ايتامه ومن يكيل او يزن او يشهد لغيره ولو كان
ذلك الامر له لم يحب ان يكون فيه خيانة ولا بخس وكذا من وعد او وعد لم
يحب ان يخلف ومن احب ذلك عامل الناس ليعاملوه بمثله فترك ذلك
انما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتامله فلذلك ناسب الختم بقوله لعلكم تذكرون
واما الثالثة فان ترك اتباع شرايع الله الدينية مود الى غضبه والى عقابه
فحسن لعلكم تتقون اي عقاب الله بسببه ومن ذلك قوله في الانعام ايضا
وهو الذي جعل لكم النجوم الآيات فانه ختم الاولى بقوله لقوم يعلمون والثانية
بقوله لقوم يفقهون والثالثة بقوله يؤمنون وذلك لان حساب النجوم و
الاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه بيعلمون وانشاء الخلائق من
نفس واحدة ونقلهم من صلبها الى رحم ثم الى الدنيا ثم الى حيوة وموت والنظر في ذلك
والفكر فيه ادق فناسب ختمه بيفقهون لان الفقه فهم الاشياء الدقيقة ولما
ذكر ما انعم به على عباده من سعة الارزاق والاقوات والثمار وانواع ذلك ناسب
ختمه بالايمان الداعي الى شكره تعالى على نعمه ومن ذلك قوله تعالى وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون حيث ختم الاولى بيؤمنون

الفقه فهم الاشياء

والثانية تذكرون ووجهه ان مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة
لا يخفى على احد فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله قليلا
ما تؤمنون واما مخالفته لنظم الكهان والفاظ السجع فيحتاج الى تذكر وتدبر
لان كلا منهما نثر فليست مخالفته له في وضوحها لكل احد كمخالفته الشعر وانما
يظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدايع والمعاني الانيقة
فحسن ختمه بقوله قليلا ما تذكرون ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين
في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى في سورة ابراهيم وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ثم قال في سورة النحل
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم قال ابن المنير كانه تعالى
يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فانت آخذها وانا معطيها فحصل لك عند اخذها وصفان
كونك ظلوما وكونك كفارا يعني لعدم وفائك بشكرها ولي عند اعطائها وصفان
وهما اني غفور رحيم اقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلا اقابل تقصيرك
الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفا وقال غيره انما خص سورة ابراهيم
بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لانه في سورة ابراهيم في سياق
وصف الانسان وفي سورة النحل في سياق صفات الله واثبات الوهيته ونظيره
قوله في الجاثية من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون و
في فصلت ختم بقوله وما ربك بظلام للعبيد ونكتة ذلك ان قبل الآية الاولى
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
فناسب الختام بفاصلة البعث لان قبله وصفهم بانكاره واما الثانية فالختام

بما فيهما مناسب لانه لا يضيع عملا صالحا ولا يزيد على من عمل سيئا وقال في سورة
النساء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى اثما عظيما ثم اعادها وختم بقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا ونكتة ذلك ان الاولى نزلت في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما
ليس في كتابه والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم اشد ونظيره
قوله في المائدة ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ثم اعادها
فقال فاولئك هم الظالمون ثم قال في الثالثة فاولئك هم الفاسقون ونكتة
ان الاولى نزلت في حكام المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى
وقيل الاولى فيمن جحد ما انزل الله والثانية فيمن خالفه مع علمه ولم ينكره والثالثة
فيمن خالفه جاهلا وقيل الكافر والفاسق والظالم كلها بمعنى واحد وهو الكفر
عبر عنه بالفاظ مختلفة لزيادة الفايدة واجتناب صورة التكرار وعكس هذا
اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف كقوله في سورة النور يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى قوله كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم
ثم قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك
يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم التنبيه الثاني من مشكلات الفواصل قوله
تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فان قوله
وان تغفر لهم يقتضي ان تكون الفاصلة الغفور الرحيم وكذا نقلت عن مصحف ابي
وبها قرا ابن شنبوذ وذكر في حكمته انه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه
احد يرد عليه حكمه فهو العزيز اي الغالب والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله

وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الافعال فيتوهم انه خارج عنها
وليس كذلك فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن اي وان يغفر لهم مع استحقاقهم
العذاب فلا معترض عليك لاحد في ذلك والحكمة فيما فعلته ومن ذلك قوله ونظيره
في سورة التوبة اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وفي سورة الممتحنة واغفر
لنا انك انت العزيز الحكيم وفي غافر ربنا وادخلهم جنات عدن الى قوله انك
انت العزيز الحكيم وفي النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم
فان بادي الراي يقتضي تواب رحيم لان الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به اشارة
الى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ومن فائدة
خفي ذلك ايضا قوله في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم وفي آل عمران قل ان
تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض
والله على كل شيء قدير فان المتبادر الى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة
وفي آية آل عمران الختم بالعلم والجواب ان آية البقرة لما تضمنت الاخبار عن خلق
الارض وما فيها على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب ان يكون
عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم وآية آل عمران
لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن
المجازاة بالثواب والعقاب ناسب ختمها بصفة القدرة ومن ذلك قوله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا فالختم

بالحلم

لولا البهائم رتع

بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الاشياء غير ظاهر في بادي الرأي وذكر في حكمته انه
لما كانت الاشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وانتم تعصون ختم به مراعاة للمقدّ
في الآية وهو العصيان كما جاء في الحديث لولا البهائم رتع وشيوخ ركع واطفال
رضع لصُبّ عليكم العذاب صبًّا وقيل التقدير حليمًا عن تفريط المسبحين غفورًا
لذنبهم وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح باهمالهم النظر في الآيات
والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما اودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه التنبيه الثالث
من الفواصل ما لا نظير له في القرآن كقوله عقب الامر بالغض في سورة النور ان الله
خبير بما يصنعون وقوله عقب الامر بالدعا والاستجابة لعلهم يرشدون وقيل
فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان اي لعلهم يرشدون
الى معرفتها واما التصدير فهو ان يكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في اول الآية
ويسمى ايضا رد العجز على الصدر وقال ابن المعتز هو ثلاثة اقسام الاول ان
يوافق اخر الفاصلة اخر كلمة في الصدر نحو انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
بالله شهيدا والثاني ان يوافق اول كلمة منه نحو وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب قال اني لعملكم من القالين الثالث ان يوافق بعض كلماته
نحو ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا قال
لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا الى قوله وقد خاب من افترى فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا واما التوشيح فهو ان يكون في اول الكلام ما يستلزم القافية
والفرق بينه وبين التصدير ان هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله

ان الله اصطفى آدم الآية فان اصطفى يدل على ان الفاصلة العالمين لا باللفظ

لان لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لانه يعلم ان من لوازم

اصطفائه ان يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمين

وكقوله وآية لهم الليل نسلخ الآية قال ابن ابي الاصبع فان من كان حافظا

لهذه السورة متفطنا الى ان مقاطع آيها النون المردفة وسمع في صدر

الآية انسلاخ النهار من الليل علم ان الفاصلة مظلمون لان متى انسلخ النهار

عن ليلة اظلم اي دخل في الظلمة ولذلك سمي توشيحا لان الكلام لما دل اوله

على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل اول الكلام وآخره منزلة العاتق

والكشح الذين يجول عليهما الوشاح واما الايغال فتقدم في نوع الاطناب

فصل قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل الى اقسام مطرف ومتوازي

ومتوازن ومرصع ومتماثل فالمطرف ان تختلف الفاصلتان في الوزن

وتتفقان في حروف السجع نحو ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا

والمتوازي ان يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما في الاول مقابلا لما في الثانية

في الوزن والتقفية نحو فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة والمتوازن

ان يتفقا في الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة

والمرصع ان يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما في الاولى مقابلا لما في الثانية

كذلك نحو ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم والمتماثل

ان يتساويا في الوزن دون التقفية ويكون افراد الاولى مقابلة لما في

الثانية فهو بالنسبة الى المرصع كالمتوازن بالنسبة الى المتوازي نحو وآتيناهما

الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالكتاب والصراط متوازيان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الاخير فصل بقي نوعان بديعيان يتعلقان بالفواصل احدهما التشريع وسماه ابن ابي الاصبع التوأم واصله ان يبني الشاعر بيته على وزنين من اوزان العروض فاذا اسقط منها جزء او جزآن صار الباقي بيتاً من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون في النثر بان يبني على سجعتين لو اقتصر على الاولى منهما كان الكلام تاماً مفيداً وان الحقت به السجعة الثانية كان في التمام والافادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ قال ابن ابي الاصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فان آياتها لو اقتصر فيها على اولى الفاصلتين دون فباي آلاء ربكما تكذبان لكان تاماً مفيداً وقد كمل بالثانية فافاد معنى ثانياً من التقرير والتوبيخ قلت التمثيل غير مطابق والاولى ان يمثل بالآيات التي في اثنائها ما يصلح ان يكون فاصلة كقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما واشباه ذلك الثاني الالتزام ويسمى لزوم ما لا يلزم وهو ان يلتزم في الشعر او النثر حرف او حرفان فصاعدا قبل الروي بشرط عدم الكلفة مثال التزام حرف فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر التزم الهاء قبل الراء ومثله الم نشرح لك صدرك الآيات التزم فيها الراء قبل الكاف فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس التزم فيها النون المشددة قبل السين والليل وما وسق والقمر اذا اتسق ومثال التزام حرفين والطور وكتاب مسطور ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق ومثال التزام ثلاثة

احرف تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

تنبيهات الاول قال اهل البديع احسن السجع ونحوه ما تساوت قراينه نحو في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى او الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وقال ابن الاثير الاحسن في الثانية المساواة والا فاطول قليلا وفي الثالثة ان يكون اطول وقال الخفاجي لا يجوز ان تكون الثانية اقصر من الاولى الثاني قالوا احسن السجع ما كان قصير الدلالة على قوة المنشي واقله كلمتان نحو يا ايها المدثر قم فانذر الآيات والمرسلات عرفا الآيات والذاريات ذروا الآيات والعاديات ضبحا الآيات والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر الثالث قال الزمخشري في كشافه القديم لا يحسن المحافظة على الفواصل بمجردها الا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه فاما ان يهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه الى مؤداه فليس من قبيل البلاغة وبني على ذلك ان التقديم في وبالآخرة هم يوقنون ليس بمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص الرابع مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله انا خلقناهم من طين لازب مع قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب وقوله بماء منهمر مع قوله قد قدر وسحر مستمر وقوله وما لهم من دونه من وال مع قوله وينشئ السحاب الثقال الخامس كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين والحاق النون وحكمته وجود

كشافه القديم

التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه انهم اذا ترنموا يلحقون الالف والياء
والنون لانهم ارادوا مد الصوت ويتركون ذلك اذا لم يترنموا وجاء القرآن
على اسهل موقف واعذب مقطع السادس حروف الفواصل اما متماثلة واما
متقاربة فالاولى مثل والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور
والثاني مثل الرحمن الرحيم ملك يوم الدين ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب قال الامام فخر الدين وغيره و
فواصل القرآن لا يخرج عن هذين القسمين بل ينحصر في المتقاربة والمتماثلة
قال وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب ابي حنيفة في عد الفاتحة سبع
آيات مع البسملة وجعل صراط الذين الى آخرها اية فان من جعل آخر الآية
السادسة انعمت عليهم مردود بانه لا يناسب فواصل ساير آيات السورة لا بالمماثلة
ولا بالمقاربة ورعاية التشابه في الفواصل لازمة السابع كثر في الفواصل
التضمين والايطاء لانهما ليسا بعيبين في النثر وان كانا عيبين في النظم فالتضمين
ان يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل والايطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الاسراء هل كنت الا بشرا
رسولا وختم بذلك الآيتين بعدها النوع الستون في فواتح السور افرده
بالتاليف ابن ابي الاصبع في كتاب سماه الخواطر السوانح في اسرار الفواتح وانا
الخص هنا ما ذكره مع زوايد من غيره اعلم ان الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة
انواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها الاول الثناء عليه تعالى والثناء قسمان
اثبات بصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص فالاول التحميد في خمس سور

وتبارك في سورتين والثاني التسبيح في سبع سور قال الكرماني في متشابه
القرآن التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدا بالمصدر في بني اسرائيل لانه الاصل
ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف لانه اسبق الزمانين ثم بالمضارع
في الجمعة والتغابن ثم بالامر في الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها
الثاني حروف التهجي في تسع وعشرين سورة وقد مضى الكلام عليها مستوعبا
في نوع المتشابه وباقي الكلام بمناسباتها في نوع المناسبات الثالث النداء في
عشر سور خمس بنداء الرسول صلعم الاحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر
وخمس بنداء الامة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة الرابع الجمل الخبرية
نحو يسألونك عن الانفال براءة من الله اتى امر الله اقترب للناس حسابهم قد
افلح المؤمنون سورة انزلناها تنزيل الكتاب الذين كفروا انا فتحنا اقتربت
الساعة الرحمن علم القرآن قد سمع الله الحاقة ما الحاقة سال سائل انا ارسلنا
نوحا لا اقسم في الموضعين عبس انا انزلناه لم يكن القارعة الهاكم انا اعطينا
فتلك ثلاث وعشرون سورة الخامس القسم في خمس عشرة سورة اقسم فيها
بالملائكة وهي والصافات وسورتان بالافلاك البروج والطارق وست سور
بلوازمها فالنجم قسم بالثريا والفجر بمبدا النهار والشمس باية النهار والليل بشطر
الزمان والضحى بشطر النهار والعصر بالشطر الاخر او بجملة الزمان وسورتان
بالهواء الذي هو احد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة
التي هي منها ايضا وهي الطور وسورة بالنبات وهي والتين وسورة بالحيوان
الناطق وهي والنازعات وسورة بالبهيم وهي والعاديات السادس الشرط

في سبع سور الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة
والنصر السابع الامر قل اوحي اقرأ قل يا ايها الكافرون قل هو الله احد قل اعوذ
المعوذتين الثامن الاستفهام في ست هل اتى عم يتساءلون هل اتاك الم نشرح
الم تر ارايت التاسع الدعاء في ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت
العاشر التعليل في لايلاف قريش هكذا جمع ابو شامة قال وما ذكرناه في قسم الدعاء
يجوز ان يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر الا سبح فانه يدخل في قسم الامر وسبحان
يحتمل الامر والخبر ثم نظم ذلك في بيتين فقال اثنى على نفسه سبحانه بثبوت
الحمد والسلب لما استفتح السورا والامر شرط الندا التعليل والقسم الدعا حروف
التهجي استفهم الخبرا قال اهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو ان يتأنق
في اول الكلام لانه اول ما يقرع الاسماع فان كان محررا اقبل السامع على الكلام
ووعاه والا اعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي ان يؤتى فيه
باعذب اللفظ واجزله وارقه واسلسه واحسنه نظما وسبكا واصحه معنى و
اوضحه واخلاه من التعقيد والتقديم والتاخير الملبس او الذي لا يناسب قالوا
وقد اتت جميع فواتح السور على احسن الوجوه وابلغها واكملها كالتحميدات وحروف
الهجاء والنداء وغير ذلك ومن الابتداء الحسن نوع اخص منه يسمى براعة الاستهلال
وهو ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام
لاجله والعلم الاسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فانها
مقاصده مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الايمان اخبرنا ابو القاسم بن
حبيب ثنا محمد بن صالح بن هانئ ثنا الحسين بن الفضل ثنا عفان بن مسلم عن الربيع

بن صبيح عن الحسن قال انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها
التورية والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم التورية والانجيل والزبور
الفرقان ثم اودع علوم القرآن المفصل ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب
فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وقد وجد ذلك بان
العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الاديان اربعة علم الاصول ومداره
على معرفة الله تعالى وصفاته واليه الاشارة برب العالمين الرحمن الرحيم و
معرفة النبوات واليه الاشارة بالذين انعمت عليهم ومعرفة المعاد واليه الاشارة
بملك يوم الدين وعلم العبادات واليه الاشارة باياك نعبد وعلم السلوك
وهو حمل النفس على الاداب الشرعية والانقياد لرب البرية واليه الاشارة
باياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وعلم القصص وهو الاطلاع على اخبار
الامم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من اطاع الله
وشقاوة من عصاه واليه الاشارة بقوله صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة
الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الالفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وانواع
البلاغة وكذلك اول سورة اقرأ فانها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة
من براعة الاستهلال لكونها اول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة والبداءة
فيها باسم الله وفيه الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب و
اثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا الاشارة الى اصول
الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها

جديرة ان يسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة

في اوله النوع الحادي والستون في خواتم السور هي ايضا مثل الفواتح في الحسن

لانها اخر ما تقرع الاسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع ايذان السامع

بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد لانها بين ادعية

ووصايا وفرايض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد الى غير ذلك كتفصيل

جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة اذ المطلوب الاعلى الايمان المحفوظ من المعاصي المسببة

لغضب الله والضلال ففصل جملة ذلك بقوله الذين انعمت عليهم والمراد المومنون

ولذلك اطلق الانعام ولم يقيده ليتناول كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الايمان

فقد انعم عليه بكل نعمة لانها مستتبعة لجميع النعم ثم وصفهم بقوله غير المغضوب عليهم

ولا الضالين يعني انهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة

من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده وكالدعاء الذي

اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران

والفرايض التي ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من احكام الموت الذي

هو اخر امر كل حي ولانها آخر ما نزل من الاحكام وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت

به المائدة وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الانعام وكالتحريض على العبادة بوصف

حال الملايكة الذي ختمت به الاعراف وكالحض على الجهاد وصلة الارحام التي ختمت

بها الانفال وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذي ختمت به براءة وتسليته عليه السلام

التي ختمت بها سورة يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به يوسف

والرد على من كذب الرسول الذي ختم به الرعد ومن اوضح ما آذن بالختام خاتمة

ابراهيم هذا بلاغ للناس الآية ومثلها خاتمة الاحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وهو مفسر بالموت فانها من غاية البراعة وانظر
الى سورة الزلزلة كيف بديت باهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانظر الى براعة آخر اية نزلت
وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وما فيها من الاشعار بالآخرية المستلزمة
للوفاة وكذا آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الاشعار بالوفاة كما اخرج
البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ان عمر سالهم عن قوله اذا جاء نصر الله
والفتح قالوا فتح المداين والقصور قال ما تقول يا ابن عباس قال اجل ضرب لمحمد
نعيت له نفسه واخرج ايضا عنه قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر وكان بعضهم وجد
في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابنا مثله فقال عمر انه من قد علمتم ثم دعاهم
ذات يوم فقال ما تقولون في قول الله اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا
ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيا فقال لي اكذلك
تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلعم اعلمه له قال اذا جاء
نصر الله والفتح وذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال
عمر لا اعلم منها الا ما تقول النوع الثاني والستون في مناسبة الايات والسور افرده
بالتاليف العلامة ابو جعفر بن الزبير شيخ ابي حيان في كتاب سماه البرهان في مناسبة
ترتيب سور القرآن ومن اهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه
نظم الدرر في تناسب الآي والسور وكتابي الذي صنفته في اسرار التنزيل كافل
بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من وجوه الاعجاز واساليب البلاغة

وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته تناسق الدرر في تناسب
السور وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر منه الإمام
فخر الدين وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط
وقال ابن العربي في شرح سراج المريدين ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون
كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عمل فيه — عالم واحد عامل
على فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف
البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه وقال غيره أول من أظهر
علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان
يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه وما الحكمة
في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يزري على علماء بغداد لعدم
علمهم بالمناسبة وقال الشيخ عز الدين عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط
في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب
مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط
ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف
وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى
ارتباط بعضه ببعض وقال الشيخ ولي الدين الملوي قد وهم من قال لا يطلب
للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع — المتفرقة
تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة
سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه

ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية ان يبحث اول كل شي عن كونها مكملة لما
قبلها ومستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في
السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له انتهى وقال الامام الرازي
في سورة البقرة ومن تامل في لطايف نظم هذه السوره وفي بدايع ترتيبها
علم ان القران كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو ايضا بسبب
ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب اسلوبه ارادوا ذلك الا اني
رايت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطايف غير منتبهين لهذه الاسرار و
ليس الامر في هذا الباب الا كما قيل والنجم تستصغر الابصار رويته والذنب
للطرف لا للنجم في الصغر فصل المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة
ومرجعها في الآيات ونحوها الى معنى رابط بينهما عام او خاص عقلي او حسي
او خيالي او غير ذلك من انواع العلاقات او التلازم الذهني كالسبب و
المسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفايدته جعل اجزاء
الكلام بعضها آخذا باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التاليف حاله
حال البناء المحكم المتلايم الاجزاء فنقول ذكر الاية بعد الاخرى اما ان يكون
ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالاولى فواضح وكذلك
اذا كانت الثانية للاولى على وجه التاكيد او التفسير او الاعتراض او البدل
وهذا القسم لا كلام فيه واما ان لا يظهر الارتباط بل يظهر ان كل جملة مستقلة
عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدو به فاما ان يكون معطوفة على الاولى
بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم او لا فان كانت معطوفة فلا بد ان

بسبب صح

متنبهين صح

يكون

يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وقوله والله يقبض ويبسط واليه
ترجعون للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج
وشبه التضاد بين السماء والارض ومما العلاقة فيها التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر الكلام
العذاب والرغبة بعد ذكر الرهبة وقد جرت عادة القران العظيم اذا ذكر
احكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر
آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتامل سورة البقرة والنسا
والمائدة تجده كذلك وان لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام
وهي قراين معنوية تؤذن بالربط وله اسباب احدها التنظير فان الحاق النظير
بالنظير من شان العقلاء كقوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق عقب قوله
اولئك هم المومنون حقا فانه تعالى امر رسوله ان يمضي لامره في الغنائم على كره من
اصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب العير او القتال وهم له كارهون
والقصد ان كراهتهم لما فعل من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين
في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكون فيما فعله
في القسمة فليطيعوا ما امروا به ويتركوا هوى انفسهم الثاني المضادة كقوله
في سورة البقرة ان الذين كفروا سواء عليهم الآية فان اول السورة كان حديثا
عن القرآن وان من شانه الهداية للقوم الموصوفين بالايمان فلما اكمل وصف
المومنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه و
حكمته التشويق والثبوت على الاول كما قيل وبضدها تتبين الاشياء فان قيل

هذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المومنين بالعرض لا بالذات والمقصود
بالذات الذي هو سياق الكلام انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول
قيل لا يشترط في الجامع ذلك بل يكفي التعلق على اي وجه كان ويكفي في وجه
الربط ما ذكرنا لان القصد تاكيد امر القران والعمل به والحث على الايمان
ولهذا لما فرغ من ذلك قال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فرجع الى
الاول الثالث الاستطراد كقوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير قال الزمخشري هذه الآية
واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر السوآت وخصف الورق عليهما بلدوكم
اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة و
الفضيحة واشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى وقد خرجت
على الاستطراد قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون
فان اول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح ثم استطرد
للرد على العرب الزاعمين بنوة الملايكة ويقرب من الاستطراد حتى لا
يكاد ان يفترق فان حسن التخلص وهو ان ينتقل مما ابتدي به الكلام
الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع
بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع عليه المعنى الثاني لشدة الالتيام
بينهما وقد غلط ابو العلا محمد بن غانم في قوله لم يقع منه في القران شي لما
فيه من التكلف وقال ان القران انما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة
العرب من الانتقال الى غير ملايم وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة

مانحن

ما تحير العقول و انظر الي سورة الاعراف كيف ذكر فيها الانبياء والقرون
الماضية والامم السالفة ثم ذكر موسى الي ان قص حكاية السبعين رجلا و
دعائه لهم ولسائر امته بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة وجوابه
تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لامته بقوله قال عذابي اصيب به
من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين من صفاتهم كيت وكيت وهم
الذين يتبعون الرسول النبي الامي واخذ في صفاته الكريمة وفضائله وفي
سورة الشعراء حكي قول ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فتخلص منه الي وصف
المعاد بقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الي اخره وفي سورة الكهف حكي قول
ذي القرنين في السد فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا
فتخلص منه الي وصف حالهم بعد دكه الذي هو من اشراط الساعة ثم النفخ
في الصور ثم ذكر الحشر ووصف مال الكفار والمؤمنين وقال بعضهم الفرق بين
التخلص والاستطراد انك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية واقبلت على ما
تخلصت اليه وفي الاستطراد تمر بذكر الامر الذي استطردت اليه مرورا كالبرق
الخاطف ثم تتركه وتعود الي ما كنت فيه كانك لم تقصده وانما عرض عروضا قال ر
قيل وبهذا يظهر ان ما في سورتي الاعراف والشعراء من باب الاستطراد لا
التخلص لعوده في الاعراف الي قصة موسى بقوله ومن قوم موسى الخ وفي الشعراء
الي ذكر الانبياء والامم ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث الي اخر
تنشيطا للسامع مفصولا بهذا كقوله في سورة ص بعد ذكر الانبياء هذا ذكر
وان للمتقين لحسن ماب فان هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهي ذكر الانبياء وهو

نوع من التنزيل اراد ان يذكر نوعًا آخر وهو ذكر الجنة واهلها ثم لما فرغ قال
هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر النار واهلها قال ابن الاثير هذا في
هذا المقام من الفصل الذي هو احسن من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج
من كلام الى آخر ويقرب منه ايضا حسن المطلب قال الزنجاني والطيبي
وهو ان يخرج الى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله اياك نعبد واياك
نستعين قال الطيبي ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معًا قوله تعالى
حكاية عن ابرهيم فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين
الى قوله رب هب لي حكمًا والحقني بالصالحين قاعدة قال بعض المتأخرين
الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الايات في جميع القرآن هو انك تنظر لدالسور ل
الى الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من
المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند
انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى
الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع
عناء الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط
بين جميع اجزاء القرآن فاذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلًا بين كل
آية آية في كل سورة سورة انتهى تنبيه من الايات ما اشكلت مناسبتها
لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيمة لا تحرك به لسانك الايات فان
وجه مناسبتها لاول السورة وآخرها عسر جدا فان السورة كلها في احوال القيامة
حتى زعم بعض الرافضة انه سقط من السورة شيء وحتى ذهب القفال فيما حكاه

الفخر الرازي الى انها نزلت في الانسان المذكور قبل في قوله ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر قال عليه كتابه فاذا اخذ في القراءة تلجلج خوفا
فاسرع في القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا ان نجمع عملك
وان نقرأه عليك فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالاقرار بانك فعلت ثم ان
علينا بيان امر الانسان وما يتعلق بعقوبته انتهى وهذا يخالف ما
ثبت في الصحيح انها نزلت في تحريك النبي لسانه حالة نزول الوحي عليه
وقد ذكر الائمة لها مناسبات منها انه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شانه من
يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من اصل الدين ان المبادرة الى فعل
الخير مطلوبة فنبه على انه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو اجل منه وهو الاصغاء
الى الوحي وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فامر بان
لا يبادر الى التحفظ لان تحفيظه مضمون على ربه وليصغ الى ما يرد عليه
الى ان ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام
الى ما يتعلق بالانسان المبدا بذكره وهو من جنسه فقال كلا وهي كلمة ردع
كانه قال بل انتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم
تحبون العاجلة ومنها ان عادة القرآن اذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل
العبد حيث يعرض يوم القيامة اردفه بذكر الكتاب المشتمل على الاحكام الدينية
في الدنيا التي تنشا عنها المحاسبة عملا وتركا كما قال في الكهف ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه الى ان قال ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
من كل مثل الآية وقال في سبحان فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن

كتابهم الى ان قال ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن الآية وقال في طه
يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا الى ان قال فتعالى الله الملك
الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ومنها ان اول السورة
لما نزل اليه ولو القي معاذير صادفا انه صلعم في تلك الحالة بادر الى تحفظ
الذي نزل وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته فنزل لا تحرك به
لسانك الى قوله ثم ان علينا بيانه ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدي به قال
الفخر الرازي ونحوه ما لو القى المدرس على الطالب مثلا مسئلة فتشاغل
الطالب بشي عرض له فقال له الق الي بالك وتفهم ما اقول لك ثم كمل المسئلة
فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسبا للمسئلة بخلاف من عرف
ذلك ومنها ان النفس لما تقدم ذكرها في اول السورة عدل الى ذكر نفس المصطفى
كانه قيل هذا شان النفوس وانت يا محمد نفسك اشرف النفوس فلتاخذ باكمل
الاحوال ومن ذلك قوله تعالى يسالونك عن الاهلة الآية فقد يقال اي رابط
بين احكام الاهلة وبين حكم اتيان البيوت واجيب بانه من باب الاستطراد
لما ذكر انها مواقيت الحج وكان هذا من افعالهم في الحج كما ثبت في سبب نزولها
ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السوال على حد انه سئل عن ماء
البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته ومن ذلك قوله تعالى ولله المشرق والمغرب
الآية فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله
الآية قال الشيخ ابو محمد الجويني في تفسيره سمعت ابا الحسين الدهان يقول وجه
اتصاله هو انه ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق اي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه

فانه

فان لله المشرق والمغرب فصل من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها
وقد افردت فيه جزأ لطيفا سميته مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع
وانظر الى سورة القصص كيف بدئت بامر موسى ونصرته وقوله فلن اكون
ظهيرا للمجرمين وخروجه من وطنه وختمت بامر النبي صلعم بان لا يكون ظهيرا
للكافرين وتسليته عن اخراجه من مكة ووعده بالعود اليها كقوله في اول
السورة انا رادوه اليك قال الزمخشري وقد جعل الله فاتحة سورة قد
افلح المومنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة
والخاتمة وقال الكرماني في العجايب مثله وقال في سورة ص بداها
بالذكر وختمها به في قوله ان هو الا ذكر للعالمين وفي ن بداها بقوله ما
انت بنعمة ربك بمجنون وختمها بقوله ويقولون انه لمجنون ومنه مناسبة
فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها حتى ان منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في
فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وقد قال الاخفش اتصالها بها من باب
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وقال الكواشي في تفسير المائدة لما ختم
سورة النساء آمرا بالتوحيد والعدل بين العباد اكد ذلك بقوله يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود وقال غيره اذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية
المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر اخرى كافتتاح سورة
الانعام بالحمد فانه مناسب لختام المائدة من فصل القضا كما قال تعالى وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة فاطر بالحمد ايضا فانه مناسب
لختام ما قبلها من قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل كما

قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة
الحديد بالتسبيح فانه مناسب لختام سورة الواقعة بالامر به وكافتتاح سورة
البقرة بقوله الم ذلك الكتاب كانه اشارة الى الصراط في قوله اهدنا الصراط
المستقيم كانهم لما سالوا الهداية الى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سالتم
الهداية اليه هذا الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة
بالفاتحة ومن لطايف سورة الكوثر انها كالمقابلة للتي قبلها لان السابقة
وصف الله فيها المنافق باربعة امور البخل وترك الصلوة والرياء فيها
ومنع الزكوة فذكر فيها في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير
وفي مقابلة ترك الصلوة فصل اي دم عليها وفي مقابلة الرياء لربك اي
لرضاه لا للناس وفي مقابلة منع الماعون وانحر واراد به التصدق بلحم الاضاحي
وقال بعضهم لترتيب وضع السورة في المصحف اسباب تطلع على انه توقيفي
صادر عن حكيم احدها بحسب الحروف كما في الحواميم الثاني لموافقة اول السورة
لاخر ما قبلها كاخر الحمد في المعنى واول البقرة الثالث للوزان في اللفظ كاخر
تبت واول الاخلاص الرابع لمشابهة جملة السورة لجملة الاخرى كالضحى والم
نشرح قال بعض الايمة وسورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية والالتجا
اليه في دين الاسلام والصيانة من دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة
تضمنت قواعد الدين وآل عمران تكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل
على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب من شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه
لما تمسك به النصارى واوجب الحج في آل عمران واما في البقرة فذكر انه مشروع

وامر

وامر باتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في آل عمران اكثر كما ان
خطاب اليهود في البقرة اكثر لان التورية اصل والانجيل فرع لها والنبي صلعم
لما هاجر الى المدينة دعى اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر
الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل اهل الكتاب ولهذا كان السور المكية
فيها الدين الذي اتفق عليه الانبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها
خطاب من اقر بالانبياء من اهل الكتاب والمومنين فخوطبوا بيا اهل الكتاب
يا بني اسرائيل يا ايها الذين آمنوا واما سورة النساء فتضمنت احكام الاسباب
التي بين الناس وهي نوعان مخلوقة لله تعالى ومقدورة لهم كالنسب والصهر
ولهذا افتتحت بقوله اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
ثم قال واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة العجيبة في
الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما اكثر السورة
في احكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام وان ابتداء
هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء في غاية رجالا
الكثرة واما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين
والوفاء بعهود الرسل وما اخذ على الامة وبها تم الدين فهي سورة التكميل لان
فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذي هو من
تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي
هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذي هو من تمام
عبادة الله ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلعم كالوضوء والتيمم والحكم

بالقرآن على كل دين وهذا أكثر فيهما من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها
ان من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملاً ولهذا ورد انهما
اخر ما نزل لما فيهما من اشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور
الاربع المدنيات من احسن الترتيب وقال ابو جعفر بن الزبير حكى الخطابي
ان الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا
بذلك على ان المراد بهاء الكناية في قوله انا انزلناه في ليلة القدر الاشارة
الى قوله اقرا قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا بديع جداً فصل قال
في البرهان ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة
بما بدئت به حتى لم يكن لترد الم في موضع الر ولا حم في موضع طس قال و
ذلك ان اول كل سورة بدئت بحرف منها فان اكثر كلماتها وحروفها مماثل
له فحق لكل سورة منها ان لا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع ق موضع ن
لم يكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله وسورة ق بدئت به لما
تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته
مراراً والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق
والالقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب
في البلاد وتشقق الارض وحقوق الوعيد وغير ذلك وقد تكرر في سورة يونس
من الكلم الواقع فيها الر مائتا كلمة او اكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة
ص على خصومات متعددة فاولها خصومة النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار وقولهم اجعل
الالهة الها واحداً ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم اهل النار ثم اختصام

الملا

الملاء الاعلى ثم تخاصم ابليس في شان آدم ثم في شان بنيه واغوائهم والمخارج

المخارج التي بين الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك اشارة الى

البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش

من التشريع بالاوامر والنواهي وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الامور الثلاثة

وسورة الاعراف زيد فيها الصاد على الم لما فيها من شرح القصص قصة آدم

فمن بعده من الانبياء ولما فيها من ذكر فلا يكن في صدرك حرج ولهذا قال

بعضهم المص الم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد الاجل قوله رفع السموات

ولاجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما واعلم ان عادة القرآن العظيم في ذكر

هذه الحروف ان يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله الم ذلك الكتاب نزل

عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك الر تلك آيات الكتاب طه ما انزلنا

عليك القرآن لتشقى طسم تلك آيات الكتاب يس والقرآن ص والقرآن حم

تنزيل الكتاب ق والقرآن الا ثلاث سور العنكبوت والروم ون ليس فيها

ما يتعلق به وقد ذكرت حكمة ذلك في اسرار التنزيل وقال الحرالي في معنى

حديث انزل القرآن على سبعة احرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه

وامثال واعلم ان القرآن نزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الامر بدا فكان المتخلق

به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل امر فلذلك هو صلعم ختم الكون وهو الجامع الكامل

ولذلك كان خاتما وكتابه كذلك وبدا المعاد من حين ظهوره فاستوى في صلاح

هذه الجوامع الثلاث التي قد خلقت في الاولين بداياتها وتمت عنده غاياتها

بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها قوله

اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها
معاشي واصلح لي آخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح اقدام واحجام
فتصير الثلاثة الجوامع ستة هي حروف القرآن الستة ثم وهب حرفا جامعا
سابعا فرد الازواج لذلك سبعة فادني تلك الحروف هو حرف صلاح
الدنيا فلها حرفان حرف الحرام التي لا تصلح النفس والبدن الا التطهير منه
لبعده من تقويمها والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن
عليه لموافقته تقويمها واصل هذين الحرفين في التورية وتمامها في القرآن
ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد احدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الآخرة
الا بالتطهير منه لبعده عن حسناها والثاني حرف الامر الذي تصلح الآخرة عليه
لتقاضيه لحسناها واصل هذين الحرفين في الانجيل وتمامها في القرآن
ويلي ذلك حرفا صلاح الدين احدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب
ربه والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة
قصور عقله عن ادراكه فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف
والاعتراف بالعجز واصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامها في القرآن
ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الاعلى ولما
كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به ام القرآن وجمع فيها جوامع الحروف السبعة
التي بثها في القرآن فالاية الاولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل
على حرفي الحلال والحرام اللذين اقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية بها
الآخرة والثالثة تشتمل على امر الملك القيم على حرفي الامر والنهي اللذين يبدو امرها

الكلام

٢٠

في الدين والرابع بعد يشتمل على الحرف في الحكم في قوله اياك نعبد والمتشابه في
قوله اياك نستعين ولما افتتح ام القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتديت البقرة
بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه انتهى كلام الحرالي والمقصود منه هو الاخير
وبقيته كلام ينبو عنه السمع وينفر منه القلب ولا تميل اليه النفس وانا استغفر الله
من حكايته على اني اقول في مناسبة ابتداء البقرة بالم احسن مما قال وهو انه لما
ابتديت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل احد بحيث لا يعذر احد في فهمه ابتديت البقرة
بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التاويل او المستحيله فصل ومن هذا النوع مناسبة
اسماء السور لمقاصدها وقد تقدم في النوع السابع عشر الاشارة الى ذلك وفي
عجايب الكرماني انما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل
الذي اختصت به وهو ان كل واحدة منها استفتحت بالكتاب او صفة الكتاب
مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام فوايد منثورة
في المناسبات في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي ومن خطه نقلت سال الامام
ما الحكمة في افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد واجاب بان التسبيح حيث
جاء مقدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله واجاب ابن الزملكاني
بان سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء الذي كذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه
تكذيب الله تعالى اتى بسبحان لتنزيه الله عما نسب الى نبيه من الكذب وسورة الكهف لما
انزلت بعد سوال المشركين عن قصة اصحاب الكهف وتاخر الوحي نزلت مبينة ان الله
لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المومنين بل اتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب
افتتاحها بالحمد على هذه النعمة في تفسير الخوفي ابتديت الفاتحة بقوله الحمد لله رب العالمين

ووصف بانه مالك جميع المخلوقين وفي الانعام والكهف وسبا وفاطر لم يوصف
بذلك بل بفرد من افراد صفاته وهو خلق السموات والارض والظلمات والنور
في الانعام وانزال الكتاب في الكهف وملك ما في السموات وما في الارض
في سبا وخلقها في فاطر لان الفاتحة ام القرآن ومطلعه فناسب الاتيان
فيها بابلغ الصفات واعمها واشملها وفي العجايب للكرماني ان قيل كيف جاء يسالونك
عن الشهر الحرام يسالونك عن الخمر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسالونك ماذا
ينفقون ويسالونك عن اليتامى ويسالونك عن المحيض قلنا لان سوالهم عن الحوادث
الاول وقع متفرقا وعن الحوادث الاخر وقع في وقت واحد فجي بحرف الجمع دلالة
على ذلك فان قيل كيف جاء ويسالونك عن الجبال فقل وعادة القران مجي
قل في الجواب بلا فاء واجاب الكرماني بان التقدير لو سالت عنها فقل فان
قيل كيف جاء واذا سالك عبادي عني فاني قريب وعادة السوال مجي جوابه
في القرآن بقل قلنا حذفت للاشارة الى ان العبد في حالة الدعاء
في اشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه ورد في القران سورتان اولهما
يا ايها الناس في كل نصف سورة فالتي في النصف الاول تشتمل على شرح المبدا
والتي في الثاني على شرح المعاد النوع الثالث والستون في الايات
المتشابهات افرده بالتصنيف خلق اولهم فيما احسب الكسائي ونظمه السخاوي والف
في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن واحسن منه درة
التنزيل في غرة التاويل لابي عبد الله الرازي واحسن من هذا ملاك التاويل
لابي جعفر بن الزبير ولم اقف عليه وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب

لطيف

لطيف سماه كشف المعاني عن متشابه المثاني وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى قطف
الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير والقصد به إيراد القصة الواحدة
في صور شتى وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا
كقوله في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الأعراف وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا وفي البقرة وما أهل به لغير الله وسائر القرآن وما أهل
لغير الله به أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها نحو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لم تنذرهم وفي يس وسواء ويكون الدين لله وفي الأنفال كله لله أو في موضع
معرفا وفي آخر منكرا أو مفردا وفي آخر جمعا أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما
وفي آخر مفكوكا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات وهذه أمثلة منه
بتوجيهها بتوجيهات قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وفي لقمان هدى ورحمة للمحسنين
لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب المتقين ولما ذكر ثم الرحمة ناسب المحسنين
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفي الأعراف فكلا بالفاء
قيل لأن السكنى في البقرة الإقامة وفي الأعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول إليه
تعالى وقلنا يا آدم اسكن ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى
والأكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لأنه أعم وفي الأعراف ويا آدم فكلا
بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها لأن الأكل بعد الاتخاذ
ومن حيث لا يعطي عموم معنى حيث شئتما قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس الآية
وقال بعد ذلك ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ففيه تقديم العدل وتأخيره
والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى وذكر في حكمته أن الضمير في منها

راجع في الاول الى النفس الاولى وفي الثانية الى النفس الثانية فبين في الاولى
ان النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل وقدمت الشفاعة لان الشافع يقدم الشفاعة على بدل العدل عنها
وبين في الثانية ان النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا
ينفعها شفاعة شافع فيها وقدم العدل لان الحاجة الى الشفاعة انما يكون عند
رده ولذلك قال في الاولى لا تقبل منها شفاعة وفي الثانية لا ينفعها
شفاعة لان الشفاعة انما تقبل من الشافع وانما ينفع المشفوع له قوله تعالى واذ
نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون وفي ابراهيم ويذبحون
بالواو لان الاولى من كلامه تعالى فلم يعدد عليهم المحن تكرما في الخطاب والثانية
من كلام موسى فعددها وفي الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى
بالتفنن قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الآية وفي آية الاعراف اختلاف
الفاظ ونكتته ان آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم حيث قال يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي الخ فناسب نسبة القول اليه تعالى وناسب قوله رغدا لان النعم به
اتم وناسب تقديم وادخلوا الباب سجدا وناسب خطاياكم لانه جمع كثرة وناسب الواو
في وسنزيد المحسنين لدلالتها على الجمع بينهما وناسب الفاء في فكلوا لان الاكل
مترتب على الدخول وآية الاعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم اجعل لنا
الها كما لهم آلهة ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك واذ قيل لهم وناسب ترك رغدا
والسكنى يجامع الاكل فقال وكلوا وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو
في سنزيد ولما كان في الاعراف تبعيضا لهادين بقوله ومن قوم موسى امة يهدون

يهدون

للتصريح ل

يهدون بالحق ناسب تبعيض الظالمين بقوله الذين ظلموا منهم ولم يتقدم في البقرة مثله
فترك وفي البقرة اشارة الى سلامة غير الذين ظلموا التصريح بالانزال على المتصفين
بالظلم والارسال اشد وقعا من الانزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك
وختم اية البقرة بيفسقون ولا يلزم منه الظلم والظلم يلزم منه الفسق فناسب
كل لفظ منهما سياقه وكذا في البقرة فانفجرت وفي الاعراف انبجست لان الانفجار
ابلغ في كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة وفي آل عمران معدودات قال ابن جماعة لان قائلي ذلك فرقتان
من اليهود احداهما قالت انما نعذب بالنار سبعة ايام عدد ايام الدنيا والاخرى
قالت انما نعذب اربعين عدد ايام عبادة ابائهم العجل فاية البقرة تحتمل قصد
الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران الفرقة الاولى حيث اتى بجمع القلة
قال ابو عبد الله الرازي انه من باب التفنن قوله تعالى ان هدى الله هو الهدى
وفي آل عمران ان الهدى هدى الله لان الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة
وفي آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله لمن تبع دينكم ومعناه ان دين الله الاسلام
قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وفي ابراهيم هذا البلد آمنا لان الاول دعا به قبل
مصيره بلدا عند ترك هاجر واسمعيل به وهو واد فدعا بان يصير بلدا والثاني
دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بامنه قوله تعالى قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وفي آل عمران قل آمنا بالله وما انزل علينا لان الاولى خطاب
للمسلمين والثانية خطاب للنبي صلعم والى ينتهي بها من كل جهة وعلى لا ينتهي بها الا
من جهة واحدة وهي العلو والقرآن ياتي المسلمين من كل جهة ياتي مبلغها اياهم منها

وانما اتي النبي صلعم من جهة العلو خاصة فناسب قوله علينا ولهذا اكثر ما جاء في جهة الامة بالي قوله تعم تلك حدود الله فلا تقربوها وقال بعد ذلك فلا تعتدوها
لان الاولي وردت بعد نواه فناسب النهي عن قربانها والثانية بعد اوامر فناسب النهي
عن تعديها وتجاوزها بان توقف عندها قوله تعم نزل عليك الكتاب وقال
وانزل التورية والانجيل لان الكتاب انزل منجما فناسب الاتيان بنزل الدال علي
التكرير بخلافهما فانهما انزلا دفعة قوله تعم ولا تقتلوا اولادكم من املاق وفي
الاسراء خشية املاق لان الاولي خطاب للفقراء المقلين اي لا تقتلوهم
من فقر بكم فحسن نحن نرزقكم ما يزول به املاقكم ثم قال واياهم اي نرزقكم واياهم
واياكم قوله تعم فاستعذ بالله انه سميع عليم وفي فصلت انه هو السميع العليم
قال ابن جماعة لان اية الاعراف نزلت اولا واية فصلت نزلت ثانيا فحسن التعريف
اي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره اولا عند نزغ الشيطان قوله تعم المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض وقال في المومنين بعضهم اولياء بعض وفي
الكفار والذين كفروا بعضهم اولياء بعض لان المنافقين ليسوا متناصرين علي
دين معين وشريعة ظاهرة وكان بعضهم يهود وبعضهم مشركين فقال من بعض
اي في الشك والنفاق والمومنون متناصرون علي دين الاسلام وكذلك الكفار
المعلنون بالكفر كلهم اعوان بعضهم ومجتمعون علي التناصر بخلاف المنافقون
كما قال تعم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي فهذه امثلة تستضا بها وقد تقدم منها
كثير في نوع التقديم والتاخير وفي نوع الفواصل وفي انواع اخر النوع الرابع
والستون في اعجاز القران افرده بالتصنيف خلايق منهم الخطابي والزملكاني

جميعا والثانية خطاب للاغنياء اي خشية فقر يحصل لكم بسببهم ولذا احسن نحن نرزقهم

نزول ار نزوع رر

في النهي عقيب ...

والزملكاني

اكثر معجزات بني اسرائيل حسية

الاذل

والزملكاني والامام الرازي وابن سراقة والقاضي ابو بكر الباقلاني قال ابن
العربي ولم يصنف مثل كتابه اعلم ان المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم
عن المعارضة وهي اما حسية او عقلية واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية
لبلادتهم وقلة بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم
ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة
العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطي ما مثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوان اكون
اكثرهم تابعا اخرجه البخاري قيل معناه ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض
اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيمة
وخرقه العادة في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار
الا ويظهر فيه شيء مما اخبر انه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان
المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصا موسى و
معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها اكثر لان الذي يشاهد
بعين الراس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق
يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا قال في فتح الباري ويمكن نظم القولين
في كلام واحد فان محصلهما لا ينافي بعضه بعضا ولا خلاف بين العقلاء
ان كتاب الله معجز لم يقدر احد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فلولا ان سماعه
حجة عليه لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى وقالوا

أ

لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبرانا الكتاب آية من آياته كاف
في الدلالة قايم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الآيات الانبياء ولما جاء
به النبي اليهم وكانوا افصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على ان ياتوا بمثله
وامهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة في قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا
بسورة مثله الآية ثم كرر في قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة
الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال عز وجل قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا هذا وهم الفصحاء اللدّ وقد كانوا احرص شيء على اطفاء نوره
واخفاء امره فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا اليها قطعا للحجة ولم ينقل عن
احد منهم انه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد تارة والى
الاستهزاء اخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا اساطير الاولين كل
ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف في اعناقهم وسبي ذراريهم
وحرمهم واستباحة اموالهم وقد كانوا آنف شيء واشده حمية فلو علموا ان الاتيان
بمثله في حد مقدرتهم لبادروا اليه لانه كان اهون عليهم كيف وقد اخرج الحاكم

لدّ خصم ضولاد ولدود كذا في ح

عن ابن

عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة الى النبي صلعم فقرا عليه القرآن فكانه رق
له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا
ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من اكثرها مالا
قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك كاره له قال فماذا اقول فوالله ما فيكم رجل
اعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي
الذي يقول شيا من هذا ووالله ان لقوله الذي يقول حلاوة وان عليه لطلاوة
وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلا وانه ليحطم ما تحته قال لا
يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يوثر
ياثره عن غيره وقال الجاحظ بعث الله محمدا صلعم اكثر ما كانت العرب شاعرا
وخطيبا واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها
الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبهة
وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم
بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم واعلامهم واعمامهم وبني اعمامهم
وهو مع ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء الى ان يعارضوه ان كان
كاذبا بسورة واحدة او بآيات يسيرة وكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها
يكشف عن نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة
ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال
فهاتوا مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه
لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض

وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة
لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعرا
اصحابه وخطباء امته لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد
لامره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج
من الاوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو
دون قريش والعرب في العقل والراي بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز
الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج
واللفظ المنثور ثم تحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز ادناهم فمحال اكرمك الله ان
يجمع هؤلاء كلهم على الغلط في الامر الظاهر والخطاء المكشوف البين مع التقريع يجتمع ا
بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق انفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد
عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض فكيف بالامر
الظاهر وكما انه محال ان يطبقوا ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل
المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون
اكثر منه انتهى فصل لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلعم وجب الاهتمام بمعرفة
وجه الاعجاز وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء فزعم قوم ان
التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وان العرب كلفت في ذلك
ما لا يطاق وبه وقع عجزها وهو مردود لان ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي
والصواب ما قاله الجمهور انه وقع بالدال على القديم وهو الالفاظ ثم زعم النظام
ان اعجازه بالصرفة اي ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا

لهم

فضل اللبن والكلا رجل فضلا اجمع والعموم حفل
اجمعا والجعل الحاجب كالحنظل والاحتفال
الوضوح وحسن القيام بالامور ق

لهم لكن عاقهم امر خارجي فصار كساير المعجزات وهذا قول فاسد بدليل قل
لئن اجتمعت الانس الاية فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة
لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره
هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن فكيف يكون معجزا وليس
فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله حيث سلبهم القدرة على الاتيان بمثله وايضا فيلزم
على القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من
الاعجاز وفي ذلك خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له
باقية سوى القرآن وقال القاضي ابو بكر ومما يبطل القول بالصرفة انه لو كانت
المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون بالمنع معجزا
فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه قال وليس هذا باعجب من قول فريق منهم
ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو
تعلموه لوصلوا اليه ولا باعجب من قول آخرين ان العجز وقع منهم واما من بعدهم ففي
قدرتنا الاتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به وقال قوم وجه اعجازه ما فيه من الاخبار
عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شان العرب وقال آخرون ما تضمنه من الاخبار
عن قصص الاولين وساير المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال آخرون
ما تضمنه من الاخبار عن الضماير من غير ان يظهر ذلك منهم بقول او فعل كقوله اذ
همت طايفتان منكم ان تفشلا ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله وقال القاضي
ابو بكر وجه اعجازه ما فيه من النظم والتاليف والترصيف وانه خارج عن جميع
وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لاساليب خطاباتهم قال ولهذا لم يمكنهم

معارضته قال ولا سبيل الي معرفة اعجاز القرآن من اصناف البديع التي اودعوها
في الشعر لانه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدرب والتصنع
به كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة وله
تسلك فاما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذي عليه ولا امام يقتدي
به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال ونحن نعتقد ان الاعجاز في بعض القران اظهر
وفي بعضه ادق واغمض وقال الامام فخر الدين وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة
الاسلوب والسلامة من جميع العيوب وقال الزملكاني وجه الاعجاز راجع الي
التاليف الخاص لا مطلق التاليف بان اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته
معني بان يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعني وقال ابن عطية الصحيح
والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه اعجازه انه بنظمه وصحة معانيه وتوالي
فصاحة الفاظه وذلك ان الله احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام كله علما فاذا
ترتبت اللفظة من القرآن علم باحاطته اي لفظة تصلح ان تلي الاولي وتبين المعني
بعد المعني ثم كذلك من اول القرآن الي آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان و
الذهول ومعلوم ضرورة ان احدا من البشر لا يحيط بذلك فلهذا جاء نظم
القرآن في غاية القصوي من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان
في قدرتها الاتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن في قدرة احد
قط ولهذا تري البليغ ينقح القصيدة او الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها
وهلم جرا وكتاب الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم ادير لسان العرب علي لفظة
احسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في اكثره ويخفي علينا وجهها

في مواضع لعصور ما عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة
وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت
الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالاطباء فان الله انما جعل معجزات
الانبياء بالوجه الشهير ابرع ما يكون في زمن النبي الذي اراد اظهاره فكان السحر قد
انتهى في مدة موسى الى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن
محمد صلعم وقال حازم في منهاج البلغاء وجه الاعجاز في القرآن من حيث استمرت
الفصاحة والبلاغة فيه من جميع انحائها في جميعه استمرارا لا يوجد له فترة ولا
يقدر عليه احد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا يستمر الفصاحة والبلاغة
في جميع انحائها في العالي منه الا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الانسانية
فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا يستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في
في تفاريقه واجزاء منه وقال المراكشي في شرح المصباح الجهة المعجزة في القرآن
تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطاء
في تادية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه
لمقتضى الحال لان جهة اعجازه ليست مفردات الفاظه والا لكانت قبل نزوله معجزة
ولا مجرد تاليفها والا لكان كل تاليف معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب معجزا ولا
مجرد اسلوبه والا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان
هذيان مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه اي الاسلوب في نحو فلما
استياسوا منه خلصوا نجيا فاصدع بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لان تعجبهم
كان من فصاحته ولان مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم

يأتوا الا بما يمجه الاسماع وينفر عنه الطباع ويضحك منه في احوال تركيبه وبها
اي بتلك الاحوال اعجز البلغاء واخرس الفصحاء فعلى اعجازه دليل اجمالي وهو
ان العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها احرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في
خواص تراكيبه ونتيجته العلم بانه تنزيل من المحيط بكل شيء علما وقال الاصبهاني
في تفسيره اعلم ان الاعجاز ذكر من وجهين احدهما اعجاز متعلق بنفسه والثاني — اعجاز القران
صرف الناس عن معارضته فالاول اما ان يتعلق بفصاحته وبلاغته او بمعناه
اما الاعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ
والمعنى فان الفاظه الفاظهم قال تعالى قرانا عربيا بلسان عربي ولا بمعانيه فان
كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وما هو في القران
من المعارف الالهية وبيان المبداء والمعاد والاخبار بالغيب فاعجازه ليس براجع
الى القران من حيث هو قران بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الاخبار
بالغيب اخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم او بغيره موردا بالعربية او بلغة اخرى
بعبارة او اشارة فاذن بالنظم المخصوص صورة القران فاللفظ والمعنى عنصره
وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه
باختلاف صورها اختلفت اسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة
والحديد فان الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتما
وان كان العنصر مختلفا وان اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت اسماؤها
باختلاف صورها وان كان العنصر واحدا قال فظهر من هذا ان الاعجاز
المتعلق بالقران يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على — المخصوص

بيان نظم الكلام ثم بيان ان هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول مراتب لتحصيل ار
تأليف الكلام خمس الاولى ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض فيحصل الكلمات
الثلاث الاسم والفعل والحرف والثانية تأليف هذه الكلمات بعضها الى بعض
فيحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء
حوائجهم ويقال له المنثور من الكلام والثالثة ضم بعض ذلك الى بعض ضماً له
مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم والرابعة ان يعتبر في اواخر
الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع والخامسة ان يجعل له مع ذلك وزن و
يقال له الشعر والمنظوم اما محاورة ويقال له الخطابة واما مكاتبة ويقال له
الرسالة فانواع الكلام لا تخرج عن هذه الاقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص
والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها يدل على ذلك انه لا يصح
ان يقال له رسالة او خطابة او شعر او سجع كما يصح ان يقال هو كلام والبليغ اذا
قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنبيهاً على ان تأليفه ليس على هيئة
نظم يتعاطاه البشر فيمكن ان يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الاخر قال
واما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر ايضاً اذا اعتبر وذلك
انه ما من صناعة محمودة كانت او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبات خفية و
اتفاقات جبلية بدليل ان الواحد فالواحد يؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره
بملابستها وتطيعه قواه في مباشرتها فيقبلها بانشراح صدر ويزاولها باتساع
قلب فلما دعا الله اهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني